التربية والتعليم عند الفاطميين في مصـــر

إعـداد

نهاوند محمد عبد الرحمن جماليـة

المشـرف

الأستاذ الدكتور صالح موسى درادكة

قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

كلية الدراسات العليـــا

الجامعة الأردنيـة

نيسان 2008م

قرار لجنـــة المناقشـــة

نوقــشت هــذه الرسالـــة:(التربيـة والتعلـيم عنـد الفـاطميين فـي مـصــر) وأجيــزت بتاريخ ٢٠٠٨/٤/١٣م.

أعضاء لجنـــة المناقشـــة	التوقيـــع
الدكتور صالح موسى درادكـــة، مشرفاً أستاذ تاريخ إسلامي ، التاريخ	....
الدكتور محمد عبد القادر خريسات، عضواً أستاذ تاريخ إسلامي ، التاريخ	....
الدكتور عصام مصطفى عقلة، عضواً أستاذ مساعد تاريخ إسلامي، التاريخ	....
الدكتور عبد الله منسي العمري، عضواً أستاذ تاريخ إسلامي (جامعة اليرموك)	....

الإهـــــــداء

إلى من حث خطاي لاجتياز الطريق الصعب

وكان دائماً الرفيق والصديق

زوجي محمد

إلى القلبين الكبيرين الذين أحاطاني بالمحبــة والرعايــة

إلى من وضعا نجاحي دوماً نصب أعينهما

أبي وأمي

إلى ابني مناف

إلى من شاركوني حلو اللحظات ومرها....

إلى من يسعدني اللقاء بهم

إخوتي وأخواتي

شكر وتقديـــر

بعد الحمد   أتقدم ببالغ الشكر وصدق الامتنان وعمـق الاحتـرام إلـى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور صالح درادكـة الذي تكرم بالإشراف على هـذا البحث وأعطاني الكثير الكثير من وقته وعلمـه الغزيـر وتوجيهاتـه البنّـاءة ونقاشاته الملهمة فله مني كل الاحترام والتقدير والعرفان بالجميل.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على تكرمهم بقبول مناقشة هذه الدراسـة وجزاهم ا   عني خير الجزاء.

الباحثة

فهرس المحتويـ ـ ـات

قائمة الإختصارات والرمــوز

ترمز الحروف إلى ما يقابلها أينما وردت في فصول هذه الدراســة :

أ-العربيــة :

ص : صفحة

ج: جزء

ع : عدد

مج : مجلد

ت: توفي

هـ هجري.

م : ميلادي.

ط: طبعة.

د. ت: دون تاريخ نشر.

د. م : دون مكان نشر.

د. ن : دون ناشر.

تحقيق : تحقيق.

ب-الأجنبيــة :

P : Page

التربية التعليم عند الفاطميين في مصـ ـ ر

إعداد
نهاوند محمد عبد الرحمن جماليـ ة
المشرف
الأستاذ الدكتور صالح موسى درادكة

الملخـ ـ ـ ص

تتناول هذه الدراسة موضوع التربية والتعليم عند الفاطميين في مصر، حيث خطت الحركة العلمية في العصر الفاطمي خطوات واسعة نحو التطور، والتقدم وذلك بفضل رعاية الخلفاء الفاطميين من خلال بناء المؤسسات التعليمية كالمساجد، ودار الحكمة، ووقف الأوقاف التي كان لها أكبر الأثر في استمرارية هذه المؤسسات.

وقد ألقت هذه الدراسة الضوء على نظم التعليم في هذا العصر إبتداءاً من الارتباط الوثيق بين الدعوة الإسماعيلية ومحاولة نشر المذهب الإسماعيلي، والحركة العلمية التي هي الأداة القوية لإيصال هذه الدعوة إلى الناس.

كما تناولت المؤسسات التعليمية كالكتاتيب والمدارس والمساجد، والقصور الفاطمية، ودار الحكمة، وأحوال التعليم المتمثلة بالعلماء والمتعلمين، والمناهج التي كانت تدرس في هذا العصر لا سيما العلوم الدينية المرتبطة بالمذهب الإسماعيلي، وأهم طرق التدريس كالإملاء والشرح والمناقشة والمناظرة.

هذا بالإضافة إلى دراسة مصادر تمويل التعليم في هذا العصر والتي تمثلت بالأوقاف، وما كانت تقدمه الدولة الفاطمية بشكل رسمي من رواتب للقائمين على هذه المؤسسات، وأرزاق الطلبة، وأخيراً الهبات والمنح الشخصية من قبل الخلفاء الفاطميين، وكبار رجالات الدولة. وفي نهاية هذا البحث، أجملت النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المقدمـة :

تتناول هذه الدراسة التربية والتعليم عند الفاطميين في مصر، وقد جاء اختيار هذا الموضوع لسببين : أولهما قلة الدراسات الجدية للفترة الفاطمية، على العكس من التاريخ العباسي الذي تعرض له الكثير من المؤلفين القدامى والمحدثين، ونال حظاً وافراً من الدراسات في جميع مجالات الحياة العباسية ابتداء من التاريخ السياسي، مروراً بالاقتصادي والثقافي وانتهاءاً بالتاريخ الثقافي. ناهيك عن الأزمة والمحنة التي تعرضت لها الدولة الفاطمية في نهاية عصرها والتي أدت إلى ضياع جزء كبير من الإرث الحضاري المتمثل في المؤلفات الفاطمية التي تعرضت للنهب والحرق في محاولة لمحو آثار المذهب الشيعي، ولولا أن قدر لمصر جماعة من المؤرخين المصريين أمثال ابن زولاق والمسبحي وابن عبد الظاهر والمقريزي والسيوطي لوجدنا مصر خلال هذه الفترة الطويلة من التاريخ والتي تقارب القرنين صفحة سوداء. والسبب الثاني هو أن الفاطميين كان لهم أكبر الأثر في قيام نهضة تعليمية زاهرة في مصر، وقد أفرزت هذه الفترة جماعة من العلماء في كافة الميادين، وأن الجامع الأزهر الذي لا يزال يفد إليه الطلبة من كافة أرجاء العالم ما هو الأثر من أثار النهضة العلمية التي عاشتها مصر في هذه الفترة وأن ما قدمته الدولة الفاطمية لا يقل بأي حال من الأحوال عن ما قدمتة الخلافة العباسيه في تلك الفترة. ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة في إلقاء الضوء على كثير من مسائل التربية و التعليم في العصر الفاطمي.

ومن الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع كتاب الأستاذ خطاب عطية " التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول " وقد عالج الأستاذ عطية مسائل التعليم في هذا العصر إبتداء من الكتاتيب والمساجد وقصور الخلفاء ودار الحكمة، كما أشارت هذه الدراسة إلى نظام التعليم في البلاد الإسلامية منذ ظهور الإسلام وحتى قيام الدولة الاخشيدية بمصر، إلا أن هذه

الدراسة تفتقر إلى دراسة مصادر الفكر الفاطمي، التي كانت توجه العملية التعليمية، ألا وهي مبادئ الدعوة الإسماعيلية والتي حاولت جاهدة نشرها من خلال التعليم والمؤسسات التعليمية لا سيما الجامع الأزهر ودار الحكمة في القاهرة.

ومن الدراسات الأخرى كتاب الأستاذ محمد كامل حسين " في أدب مصر الفاطمية " ولم تتعرض هذه الدراسة إلى أحوال التعليم كالمعلمين والطلبة، والمناهج التي كانت تدرس في هذه الفترة، كما لم ترد أي إشارة إلى مسألة الإنفاق على التعليم في العصر الفاطمي. ولم أجد أي دراسة أخرى - باستثناء الدراستين السابقتين – تتناول التعليم في العصر الفاطمي بشكل خاص.

وقد اعتمدت في كتابة هذه الدراسة على مجموعة من المصادر، كان بعضها معاصراً للدولة الفاطمية، والبعض الآخر غير معاصر، ويمكن تقسيم هذه المصادر إلى خمسة أقسام:

أولاً :- المصادر التاريخية التي تبحث في التاريخ السياسي للدولة الفاطمية ومنها على سبيل المثال لا الحصر تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي (ت 458هـ/1065م) ، واخبار ملوك بني عبدي وسيرتهم لصنهاجي (ت626هـ/1228م) ، كتابي " اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا " و" المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" للمقريزي (ت 845 هـ-1441م) و"حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة " لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ-1505م) و"المنتقى من أخبار مصر" لابن ميسر (ت 677هـ - 1278م) .

ثانياً :- كتب الدعاة ورجالات الفاطميين والتي هي أفضل ما يمكن الاعتماد عليه لمعرفة العقائد الإسماعيلية، ومن أهمها رسالة افتتاح الدعوة، والمجالس والمسايرات للقاضي الفاطمي ابن حيون، النعمان بن محمد (ت 363 هـ -973م)، والداعي الإسماعيلي الشهير المؤيد في الدين هبة ا الشيرازي (ت 470هـ-1077م) وكتبه مذكرات: داعي الدعاة، وديوان المؤيد.

والسجستاني، (ت353هـ -964م) وكتابه الافتخار، والداعي عماد الدين القرشي (ت872هـ -1467م) صاحب كتاب تاريخ الخلفاء الفاطميين،وهو القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار.

ثالثا:- مراجع أدبية مثل كتاب "القانون في ديوان الرسائل" لعلي بن منجب الصيرفي (ت542هـ -1147م)، و"صبح الأعشا قي صناعة الانشا " للقلقشندي (ت821هـ -1418م)

رابعا: كتب تراجم الأدباء والعلماء والأطباء والوزراء الدين عاشوا في كنف الدولة الفاطمية،ومنها" الإشارة إلى من نال الوزارة " للصيرفي، و"معجم الأدباء " لياقوت الحموي (ت626هـ -1228م)،وكتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة(ت668هـ -1269م)،و كتاب"وفيات الأعيان" لابن خلكان(ت681هـ -1281م)،وكتاب " بغية الوعاة في طبقات النحويين واللغاة " للسيوطي.

خامسا:- كتب الفرق الاسلامية ككتاب " الملل والنحل" للشهرستاني(ت548هـ -1153م)،و" فرق الشيعة" للنوبختي(ت ق3هـ -9م)

والصعوبة التي واجهتها في هذه الدراسة، هي أن المصادر التي تبحث في مسائل التعليم أمثال الزرنوجي والقابسي وابن سحنون، تتناول التعليم بصفة عامة، ولهدا كان من الصعوبة الحصول على معلومات وافية عن التعليم في العصر الفاطمي، ولذلك كان لا بد من تتبع الاشارات المتناثرة هنا وهناك في المصادر من أجل تكوين صورة واضحة عن هذه الفترة، وفي كثير من الأحيان لا تسعفنا المصادر خاصة فيما يتعلق بأحوال المعلمين والمتعلمين ،وأساليب التدريس، والإنفاق على التعليم.

أما بالنسبة لخطة الدراسة فقد قسم الموضوع إلى مقدمة وتمهيد، وأربعة فصول وخاتمة. وقد تناولت في التمهيد الأحوال العامة السائدة في مصر قبل العصر الفاطمي، وتشمل العصر الاخشيدي من حيث الأحوال السياسية والاقتصادية والثقافية حتى مجيء الفاطميين إلى

مصر، ويأتي التمهيد ليبرز الدور الذي لعبه الفاطميون منذ قدومهم إلى مصر ليكملوا المسيرة التعليمية والثقافية التي كانت موجودة منذ العصر الاخشيدي، بالإضافة إلى ما استجد على عهد الفاطميين.

أما الفصل الأول فقد تناول الفكر التربوي عند الفاطميين من حيث أصول هذا الفكر وقد تعرضت فيه إلى نشأة الاسماعيلية، وهي الفرقة التي قامت على مبادئها الدولة الفاطمية، وأهم العقائد الإسماعيلية لا سيما عقيدتهم في الإمامة والتأويل، كما تناول الفصل الأول ايضاً أهداف الفكر والمتمثلة بالأهداف السياسية والدينية الرامية إلى إقامة دولة إسماعيلية فاطمية منافسة للخلافة العباسية، ونشر العقائد الاسماعيلية في العالم الإسلامي من خلال مجموعة من الوسائل والأساليب التي يتعرض لها الفصل الأول.

ويأتي الفصل الثاني للحديث عن المؤسسات التعليمية في العصر الفاطمي وعلى رأسها الكتاتيب كمؤسسات لتعليم الصبيان، والمساجد خاصة الجامع الأزهر، ودار الحكمة التي أنشأها الحاكم بأمر ا الفاطمي في القاهرة، والمكتبات لا سيما مكتبة دار الحكمة ومكتبة القصر، والقصور الفاطمية التي كانت مجالس للأدب والشعر والمناظرة، بالإضافة إلى مجالس الحكمة التي يعقدها داعي الدعاة، والتي هي بمثابة محاضرات في أصول الدعوة الإسماعيلية، وأخيراً المدارس التي عرفت في مصر أواخر العصر الفاطمي على خلاف ما يعتقده الكثيرون من أن المدارس قد ظهرت هناك بعد سقوط الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي.

وجاء الفصل الثالث للحديث عن أحوال التعليم في العصر الفاطمي من حيث المعلمين والمتعلمين والمنهاج وأساليب التدريس في هذا العصر.

كما تناول الحديث عن الإنفاق على التعليم في العصر الفاطمي لا سيما الأوقاف التي كان لها دور كبير في استمرار المؤسسات التعليمية في أداء رسالتها، واستقطاب عدد كبير من

الطلبة الذين رحلوا إلى مصر في طلب العلم، بالإضافة إلى مساهمات الدولة في الإنفاق على تلك المؤسسات التعليمية ورعايتها لها من حيث التجديد والإصلاح، وتخصيص أرزاق دائمة للعاملين فيها، ولا ننسى الهبات والمنح التي كان يغدقها الخلفاء والوزراء الفاطميون على العلم وأهله.

وفي نهاية الدراسة أجملت النتائج التي توصلت إليها في البحث، ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور صالح درادكة على ما قدمه لي من نصح وإرشاد وتوجيه حتى تمكنت من إتمام هذه الدراسة فقد كان نعم الأستاذ والأب والموجه والمرشد، وله مني جزيل الشكر والعرفان والتقدير وجزاه ا عني خير الجزاء.

التمهيـ ـد

الأحوال العامة السائدة في مصر قبل العصر الفاطمـــي :

منذ أن عادت مصر مرة أخرى إلى حضن الخلافة العباسية في عام (293هـ -905م)، بعد ثلاثة عقود من الحكم الطولوني، شهدت البلاد حكماً أسرياً جديداً، أقامه الأمير محمد بن طغج الملقب بالإخشيد [1]. وهو اللقب الذي أطلق على الأسرة الأخشيدية الحاكمة في مصر (323 -359هـ) (935-969م) [2].

وقد تولى محمد بن طغج أمر مصر بأمر من الخليفة العباسي " القاهر با " سنة (321 هـ -933م)، بعد أن اضطربت أحوال الديار المصرية، وخرج منها إبن تكين وكان محمد بن محمد طغج يومئذ والياً على دمشق والرملة وكثير من بلاد الشام، ولكنه لم يدخل مصر في هذه الولاية وما دخلها أميراً عليها إلا في ولايته الثانية من قبل الخليفة العباسي " الراضي با "، وذلك بسبب عودة الأمير أحمد بن كيغلغ بولايته الثانية على مصر من قبل الخليفة" العباسي القاهر با " [3] في نفس السنة 321هـ. – 933م، ثم صرف عنها (323هـ -934م)، وأعيد محمد بن طغج ثانية من قبل الخليفة العباسي " الراضي " على الصلاة والخراج " [4].

---

(1) الأخشيد : لقب تركي كان يلقب به ملوك إقليم فرغانه في بلاد ما وراء النهر، والأخشيد بلسان الفراعنة تعني " ملك الملوك"، أبو المحاسن، جمال الدين بن تغري بردي (ت 874هـ-1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب العلمية، المؤسسة المصرية العامة، ج3، ص 237.

(2) ابن ظافر، أبو الحسن علي بن منصور، (613هـ-1216م)، أخبار الدول المنقطعة، ط 1 (تحقيق عصام هزايمة وآخرين)، دار الكندي، إربد، 1999م، ج1، ص 138؛ ديمون أندريه، القاهرة تاريخ وحاضره، الطبعة الأولى، (ترجمة لطيف فرج)، دار الفكر، القاهرة، 1994، ص 36-36.

(3) ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 139؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج3، ص 236.

(4) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (ت 845هـ-1441م)، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار (تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي) مكتبة مدبولي، 1998، ج1، ص 908؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان، (ت 911هـ-1505م)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج2، ص 18.

هذا وقد شارك محمد بن طغج في قتال الفاطميين أثناء محاولتهم لغزو مصر، وأبلى في ذلك بلاءاً حسناً، فكافأه الخليفة الراضي بأن ولاه على مصر[1]، ولما توفي الخليفة العباسي "الراضي با "، وتولى المتقي عقد للإخشيد على مصر والحرمين والشام، وعقد لولديه من بعده " أونجور وعلي : على أن يكفلهما غلامه كافور[2] الأخشيدي الخصي[3].

وكان الحمدانيون قد سيطروا على الموصل وشمالي بلاد الشام،وانتشر نفوذ الأمويين بالأندلس، وأسس الفاطميون دولتهم في بلاد المغرب وصقلية، والسامانيون في خراسان، وانتقلت السلطة في بغداد إلى بني بويه [4].

وقد قام الفاطميون بمحاولات عديدة لغزو مصر، وقد نجح الإخشيد بالدفاع عن مصر وصد هجوم الفاطميين مرة أخرى سنة (324هـ -935م)، وأرغمهم على العودة إلى شمال أفريقيا[5].

---

(1) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت 733-1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب. (تحقيق محمد أمين ومحمد حلمي محمد) ،مركز تحقيق التراث، 1993، ج 28، ص 46؛ العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 141.

(2) كان كافور عبداً حبشياً إشتراه الأخشيد من بعض رؤساء مصر بثمانية عشر ديناراً ثم عكف كافور على الدراسة وتحصيل العلوم المختلفة حتى بلغ بذلك مرتبة كبيرة أهلته إلى أن يصبح من كبار القواد ولُقب بالأستاذ.

أبو المحاسن النجوم الزاهرة، ج4، ص 2؛ السيوطي المصدر نفسه، م 2، ص 19.

(3) ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 139.

(4) السيوطي، حسن المحاضرة، م 2، ص 18؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، 1958، ص 122.

(5) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج3، ص 252؛ حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1932م، ص 85.

وقد بقي محمد بن طغج في حكم مصر إلى أن توفي فيها سنة (334هـ - 945م) [1]، وقام من بعده ابنه القاسم أونجور [2] – وكان صغيراً – وغلب على أمره كافور الإخشيدي الذي كان متحكماً في أيامه، وكان يطلق للحاكم في السنة أربعمائة ألف دينار ويتصرف هو فيما بقي[3]، وبقي الأمر على هذا الحال إلى أن توفي أنوجور سنة (349هـ-960م)، وكانت مدة حكمه أربع عشرة سنة[4]، فأقام كافور علي بن الإخشيد أبا الحسن، وأمره الخليفة العباسي " المطيع " على الحرب والخراج بمصر والشام والحرمين، وسار كافور معه مثلما كان مع أخيه وأطلق له ما كان يطلق لأخيه في كل سنة [5]، بل زاد أنه لم يكن يتركه يظهر للناس إلا معه[6]. وبقي على هذا في الملك وله الاسم فقط والفعل لكافور إلى سنة (351هـ -962م)، وكان قد وقع بمصر الغلاء فعز وجود القمح، وقل ماء النيل، ونهبت ضياع مصر، واضطربت أمور الديار المصرية والاسكندرية، بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميين الواردين إليها من المغرب، وعجز المصريون عن الدفاع عن الشام من خطر القرامطة، وذلك لشغلهم بالغلاء والمغاربة الفاطميين[7]. كما فسد ما بين علي بن الأخشيد صاحب مصر وبين

---

(1) ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 14، السيوطي، حسن المحاضرة، م2، ص 18.

(2) أنوجور: اسم أعجمي غير كنية ومعناه باللغة العربية محمود، أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج3، ص 291.

(3) ابن ظافر، المصدر نفسه، ج1، ص 141، أبو المحاسن، المصدر نفسه، ج3، ص 291، المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج 1، ص 910، السيوطي،حسن المحاضرة، م2، ص 18.

(4) ابن ظافر، المصدر نفسه، ج 1، ص 141، المقريزي، المصدر نفسه، ج1، ص 910،السيوطي، المصدر نفسه، م2، ص 18-19.

(5) إبن ظافر، المصدر نفسه، ج1، ص 142، أبو المحاسن، النجوم ،ج 2، ص 326، المقريزي، المصدر نفسه، ج1، ص 910.

6أبن ظافر، المصدر نفسه، ج1، ص 142.

(7) أبو المحاسن، المصدر نفسه، ج 3، ص 326، المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص 910.

مدبر مملكته كافور الأخشيدي ومنع كافور الناس من الاجتماع به إلى أن توفي علي بن الأخشيد سنة 355هـ - 965م [1].

وبقيت مصر من غير أمير أياماً، ولم يدع بها إلا للخليفة العباسي المطيع با ، ثم ولي كافور من قبل المطيع الخليفة العباسي على الحرب والخراج وجميع أمور مصر والشام والحرمين [2].

وكان كافور الإخشيدي رجلاً سياسياً بارعاً عرف كيف يحافظ على استقلال مصر في مواجهة التهديدات الخارجية التي تضاعفت [3]، ففي الشمال حارب الحمدانيين وانتهت هذه الحرب بمعاهدة صلح احتفظت فيها مصر بجنوب الشام بينما بقي الحمدانيون في شمالها كما كان الحال في عهد الأخشيد [4].

كذلك حارب كافور القرامطة الذين أغاروا على جنوب الشام وهددوا قوافل التجارة والحجاج المتجهة إلى الحجاز وانتهت هذه الحرب بالصلح أيضاً [5]. وفي الجنوب حارب كافور أمراء النوبة الذين تكررت غاراتهم على أسوان وغيرها من المدن، وانتهت هذه الحرب بخضوعهم وتقديم الجزية والرقيق إلى مصر كل سنة وقد نتج عن ذلك كثرة الجنود السود في الجيش الإخشيدي، وفي الغرب صد كافور غارات الفاطميين ولا سيما في مناطق الواحات وطردهم

---

(1) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج3، ص 326، المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص 910.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص 910، السيوطي، حسن المحاضرة، م2، ص 19.

(3) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج4، ص 2، السيوطي، المصدر نفسه، م2، ص 19، أحمد مختار العبادي في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 144.

(4)ابن كثير، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، (ت 774هـ-1372م)، البداية والنهاية، ط2، مكتبة المعارف، بيروت، 1977، ج11، ص 266.

(5) ابن العبري، غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون (ت 685هـ-1286م)، مختصر تاريخ الدول، صححه وفهرسه أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، لبنان، 1983م، ص 292، النويري،نهاية الأرب، ج28، ص 50.

منها، وفي نفس الوقت عامل رسل الخليفة الفاطمي المعز لدين ا باللاطف واللين، وكان المعز قد دعاه إلى الدخول في طاعته ولكن كافور استطاع بدهائه وكياسته أن يؤخر الغزو الفاطمي لمصر طوال عهده [1]، حتى أن دعاة الفاطميين الذين كانوا يزورون مصر يقولون: " إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز لدين ا الأرض كلها وبيننا وبينكم الحجر الأسود "[2]. ويقصدون بالحجر الأسود كافور الإخشيدي، وبقي كافور في الحكم إلى أن توفي سنة 357هـ - 967م[3].

فولي أحمد بن علي الإخشيد أبو الفوارس، وكان إذا ذاك صبياً ابن إحدى عشرة سنة، واستخلفوا له إبن عم أبيه الحسن بن عبيد ا بن طغج، وجعلوا تدبير الرجال إلى شمول الإخشيدي وتدبير الأموال إلى جعفر بن حنزابة الوزير، وكانت النتيجة ان اضطربت شؤون الدولة وكثر شغب الجند وعجزت الدولة عن دفع رواتبهم، ودب النزاع ما بين الطائفتين الكافورية وهم أنصار كافور الذين رقاهم إلى المناصب العالية في الدولة، والإخشيدية وهم مماليك الأسرة الإخشيدية وأنصارها. كما وقع غلاء شديد بمصر واقترن بذلك وباء عظيم وكثر الموت وقصر ماء النيل.[4]

---

(1) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت845هـ -1441م)، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ط1، (تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا) ،دار الكتب العلمية، بيروت، 2001،م، ج 1، ص 178.

(2) الأنطاكي، يحيى بن سعيد، (ت 458هـ -1065م)، تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، (تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، جروس برس، طرابلس،لبنان، 1990، ص 121، أبن ظافر، أخبار الدول، ج1، ص 152، أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج4، ص 9،المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص 910، ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، (ت930هـ -1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، (تحقيق محمد مصطفى)، فرانز شتاينر، فيسبادن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1975م، ج1، ص 184.

(3) ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 152، المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج 1، ص 910.

(4) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ج1، ص 121-122، ابن الأثير؛ عز الدين أبو الحسن علي (ت 630هـ - 1232م)، الكامل في التاريخ، 12م، دار صادر، بيروت، 1979م -1982م، م8، ص 590؛ أبو ===

أما الخلافة العباسية التي استطاعت أن تصد الحملات الفاطمية على مصر قبلاً فإنها هذه المرة لم تستطع عمل أي شيء من هذا القبيل وذلك لأن أعداءها في الشام – الحمدانيون في شماله، والقرامطة في جنوبه، كانوا يحولون دون وصول جيوشها للدفاع عن مصر بالإضافة إلى ضعف الخلافة العباسية المتزايد تحت سيطرة الشيعة البويهيين الذين سيطروا على الخلفاء، ولم يبقوا لهم من الأمر شيئاً سوى السلطة الدينية ممثلة " بذكر اسم الخليفة في الخطبة ونقشه على السكة. ونتيجة لهذا الضعف السياسي والإقتصادي أصبحت مصر فريسة سهلة لأي غزو خارجي.[1]

وكان الخليفة الفاطمي المعز لدين ا على علم تام بحالة البلاد السيئة من أخبار أطلعه عليها دعاته وجواسيسه بل ومن المصريين أنفسهم، ومما يدل على ذلك قوله لجماعة من شيوخ كتامة: ".. وأني مشغول بكتب ترد علي من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطي.."[2].

كان الخلفاء الفاطميون قد عنوا عناية خاصة بامتلاك مصر، لما لموقعها من عظيم الأهمية سياسياً وحربياً. خصوصاً وأن ولاة هذه البلاد كانت إليهم ولاية الشام والحجاز فكان امتلاك مصر امتلاكاً لهذين البلدين العظيمين، وتأسيس نفوذ الفاطميين السياسي والديني في ثلاثة من المراكز الإسلامية،وهي الفسطاط والمدينة ودمشق، بالإضافة إلى أن تحقيق هذا المطمح الذي قصد إليه أول الخلفاء الفاطميين معناه تمهيد الطريق لتهديد بغداد نفسها حاضرة

المحاسن، النجوم الزاهرة، ج4،ص 30؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ص 184؛ أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي، ص 147. حسن إبراهيم؛ تاريخ الدولة الفاطمية، ص 123.

(1) أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر، الدار المصرية اللبنانية، ص 132؛ حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 130، حسن إبراهيم؛ الفاطميون في مصر، ص 198؛ أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي، ص 147.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 172؛ العبادي، في التاريخ العباسي، ص 147.

الخلافة العباسية في ذلك الحين [1]. هذا وقد قام الفاطميون بعدد من المحاولات لغزو مصر في سني 301، 302، 307و 309 و 321 – 342هـ. وعلى الرغم من القضاء على هذه المحاولات إلا أن الدعوة الفاطمية استطاعت الوصول إلى مصر قبل فتحها على يد الفاطميين بزمن طويل واعتنق عدد غير قليل المذهب الشيعي فيها، وذلك لأن الفاطميين كانوا يدمجون في صفوف جندهم دعاة عهد إليهم أن يختلطوا بالناس ويعلموهم عقائد المذهب الفاطمي[2].

وكان الخليفة الفاطمي المعز لدين قد وعى دروس المحاولات السابقة الفاشلة لغزو مصر فقام بإعداد حملته على مصر بعناية بعد أن حصل على معلومات دقيقة عن أحوال مصر من يعقوب بن كلس وهو يهودي عراقي حضر إلى مصر وأقام فيها وقد لفتت قدراته أنظار كافور الإخشيدي الذي قال : " لو كان هذا الرجل مسلماً لجعلته وزيراً". وقد دخل يعقوب الإسلام وبعد وفاة كافور قبض عليه ورحل إلى شمال إفريقيا حيث عمل في خدمة الخليفة المعز لدين ا الذي أشركه في شن حملته على مصر [3].

وأمر المعز بحفر الآبار في الطريق المؤدية إلى مصر وأن يبنى له في كل منزلة قصر، وقام بتجهيز جيش كبير أنفق عليه وعلى تجهيزه مبلغاً كبيراً وصل إلى 24 ألف ألف دينار، كما يقول المقريزي، ومن السلاح والخيل ما لا يوصف. وبدأ الجيش البالغ عدده 200 ألف فارس من عساكر المغرب بالتحرك تحت قيادة جوهر الصقلي، ولما بلغ خبر مسير الجيش إلى العساكر الإخشيدية بمصر هربوا عنها جميعهم قبل وصوله، ووصل القائد جوهر

---

(1) حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 113.

(2) الروحي أبي الحسن علي بن أبي عبد ا محمد (ت4هـ/10م)، بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء، تحقيق عماد أحمد هلال وآخرون، إشراف ومراجعة أيمن فؤاد سيد، القاهرة، 2003م، ص 287-288؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 40-41.

(3) النويري، نهاية الأرب، ج2، ص 165؛ الدوادراي، أبو بكر بن عبد ا بن أيبك، ت 736هـ-1335م، كنز الدرر في فنون الأدب وجامع الغرر، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1961، ص 226.

في السابع عشر من شعبان سنة 358هـ -968م، وأقيمت الدعوة للمعز لدين ا الفاطمي في الجامع العتيق في شوال وأخذ جوهر مصر بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة، وشرع في بناء القاهرة والقصرين والجامع الأزهر وأرسل بشيراً إلى المعز يبشره بف تحقيق الديار المصرية، وإقامة الدعوة له بها[1]. وبهذا انقرضت الدولة الإخشيدية عن مصر وكانت مدتها أربعاً وثلاثين سنة [2].

وعلى الرغم من المدة القصيرة التي حكمت فيها الأسرة الإخشيدية إلا أنه يمكن القول أن عهد الدولة الإخشيدية كان مزدهراً من الناحيتين العلمية الأدبية فقد عمل محمد بن طغج الاخشيدي وكافور من بعده على تنمية ثروة مصر مما ساعد على تشجيع طلبة العلم والعلماء والأدباء والشعراء وبناء المساجد.[3]

فيذكر ابن سعيد: " وتولى الإخشيد مصر في الأموال والرجال... وكان يحادثه ويسامره سعيد الشاعر المعروف بقاضي البقر، ولما دخل شهر رمضان أطلق النفقات للمسجد الجامع وأمر بإمداد المسجد بالحصر والبياض والخلوق والمصابيح والأئمة[4]". " وكان الإخشيد بالشام وبلغة خبر أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر فقال جيؤني به فأحضر إليه

---

(1) ابن الأثير، الكامل، م8، ص 590؛ أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي، (ت 732هـ - 1331م)، المختصر في أخبار البشر، ط1،(تحقيق محمد زينهم محمد عزب ويحيى سيد حسين) دار المعارف، القاهرة، ج2، ص 158؛ أبوالمحاسن، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 30؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 172-173؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 20؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ص 185.

(2) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج4، ص 185.

(3) خطاب، عطية، التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول، دار الفكر العربي، ص 42.

(4) ابن سعيد، علي بن موسى المغربي، (ت 673هـ -1274م)، المغرب في حلى المغرب، عنى بنشره وتحقيقه والتعليق عليه، زكي محمد حسن، وآخرون، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1953، ج1، من القسم الخاص بمصر ، ص 163.

وأكرمه وكان يحب الصالحين ويكرمهم ويركب إليهم، ويطلب دعاءهم بل ويحب قراءة القرآن ويبكي عند سماعها ".

أما كافور فقد كان يدني الشعراء ويجيزهم وكانت تقرأ عنده في كل ليلة السير وأخبار الدولة الأموية والعباسية، وكان له نظر في العربية والأدب والعلم وممن كان في خدمته إسحاق إبراهيم بن عبد ا النجيرمي صاحب الزجاج[1]. كما قصده المتنبي الشاعر ومدحه فأعطاه أموالاً كثيرة[2]، وأكرمه وخلع عليه وأنزل بدار ، وحمل إليه أولفاً من المال [3].

ويورد الصنهاجي نصاً عن القاضي محمد بن سلامة القضاعي المتوفى سنة 454هـ/1063م، يصف فيه مدينة الفسطاط قبل بناء مدينة القاهرة فيقول : ".. اما بضاعة العلم في الفسطاط فكانت أغلى البضائع وأنفسها وأكثرها رواجاً، وفضلاً عن الأسواق التي كانت للكتب فقد كانت صناعة النسخ واسعة النطاق يعيش منها آلاف من المشتغلين بالعلم وأن المكتبة كانت زينة المنزل في كل أسرة مثقفة وحلقات العلم تعقد في المساجد التي بلغ عددها ستة وثلاثين ألف مسجد وكان جامع عمرو الذي يسمى تاج الجوامع، ومباءة التحديث والتدريس من زمان الصحابة رضوان ا عليهم، وكان من الأئمة الليث بن سعيد ومحمد بن إدريس الشافعي وحتى في سنة 749هـ-1348م، كانت حلقات الدرس الدائمة كل يوم بلا انقطاع في جامع عمرو ولا تقل عن بضع وأربعين حلقة كما ذكر جلال الدين السيوطي، في

---

(1) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج4، ص 6.

(2) المصدر نفسه، ج4، ص 6.

(3) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 28، ص (58)، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 126.

حسن المحاضرة، فما بالك بما كانت عليه الحال قبل الإعراض عن الفسطاط واتخاذ القاهرة عاصمة للبلاد". [1]

وقد اعتنى الإخشيديون بالمساجد وعمارتها حتى عمت المساجد كافة أنحاء مصر ، فيذكر القلقشندي نصاً في معرض الحديث عن كافور الإخشيدي فيقول: ".. وكان يحب العلماء والفقهاء ويكرمهم ويتعاهدهم بالنفقات ويكثر الصدقات حتى استغنى الناس في أيامه ولم يجد أرباب الأموال من يقبل منهم الزكاة فرفعوا أمر ذلك إليه فأمرهم أن يبتنوا بها المساجد ويتخذوا لها الأوقاف ففعلوا ". [2]

ومن مراكز التعليم زمن الدولة الإخشيدية جامع عمرو وجامع ابن طولون، وجامع عمرو هو أقدم جوامع مصر الإسلامية بني سنة 21هـ - 641م، وأطلق عليه "المسجد العتيق " و " تاج الجوامع " و " المسجد الجامع"[3]. وقد اعتنى الإخشيديون بهذا المسجد كما عنى به غيرهم من الأمراء من قبل ومن بعد، وزيدت عمارته في عهدهم وزينت عمده [4]. وكانت حلقاته العلمية في زمنهم أشهر مجالس العلم والتعليم فقد ذكر ابن سعيد:

"وفي هذه السنة (326هـ/937م)، عاد أصحاب مالك والشافعي إلى الإقتتال في المسجد الجامع العتيق، وكان في الجامع للمالكيين خمس عشرة حلقة، وللشافعيين مثلها، ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث حلق، فلما زاد قتالهم أرسل الإخشيد ونزع حصرهم ومساندهم وأغلق الجامع، وكان يف تحقيق في أوقات الصلوات. ثم سئل الإخشيد فيهم فردهم". وفي هذا

---

(1) الصنهاجي، أبو عبد ا محمد بن علي، (ت 626هـ -1228م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم (تحقيق جلول أحمد البدوي)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 94-95.

(2) القلقشندي، أحمد بن علي بن ا؛مد الغزاري (ت821هـ/1415م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، طبعة مصورة عن الطبعة الأميرية، (د.ت) ج3، ص 426.

(3) السيوطي، حسن المحاضرة، م2، ص 212-220.

(4) ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، ت 809هـ -1406م، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، (تحقيق إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، القسم الأول، ص 65؛ خطاب عطية، التعليم في مصر، ص 48).

القول دلالة واضحة على إقبال الطلبة على العلم فقد كان في المسجد الجامع ثلاث وثلاثون حلقة للعلوم المختلفة وفي هذه الحلقات تخرج معظم المحدثين والفقهاء في ذلك العصر[1].

أما جامع ابن طولون فكان يأتي ي المرتبة الثانية بعد جامع عمرو، وكان به أكثر صلاة الإخشيد فقد قال ابن سعيد[2]: " وكان أكثر صلاته (أي الإخشيد) في جامع ابن طولون إلا في رجب وشعبان ورمضان".

ومن المواد التي كانت تدرس بالمساجد في عصر الدولة الإخشيدية العلوم الشرعية وتشمل علوم القرآات والتفسير والحديث والفقه والكلام [3].

ومن أشهر أئمة القرآات في هذا العصر عامر بن حمدان أبو غانم المصري المقريء النحوي قرأ عليه عامة أهل مصر، وله مؤلف في اختلاف الشيعة مات سنة (333هـ/ 944م)[4] وأبو بكر بن عبد ا بن مالك بن عبد ا بن سيف التجيبي المقرئ المصري شيخ الإقليم في القراءات في زمانه مات في (357هـ /967م)[5].

ومن الفقهاء الذين إشتهروا بتدريس الفقه زمن الإخشيديين أبو بكر بن الحداد محمد بن أحمد بن جعفر الكناني المصري، جالس أبا إسحاق المروزي لما ورد مصر، وروى الحديث عن جماعة منهم أبو عبد الرحمن النسائي ولزمه، وكان يعرف الأسماء والكنى والنحو واللغة واختلاف الفقهاء وأيام الناس وسائر الجاهلية والشعر والنسب، ولي القضاء بمصر، وصنف الباهر في الفقه في مائة جزء، وكتاب جامع الفقه وكتاب أدب القضاء في أربعين جزءاً". مات

---

(1) خطاب عطية، التعليم في مصر، ص 49.

(2) ابن سعيد، ج1 (من القسم الخاص بمصر ومساندهم) ، ص 173.

(3) خطاب عطية، التعليم في مصر، ص 51.

(4) السيوطي، حسن المحاضرة، م1، ص 403.

(5) السيوطي، المصدر نفسه، م2، ص 402.

في (344هـ وقيل 345 / 955 /956م) [(1)]. ومن الفقهاء الذين رحلوا إلى مصر وقاموا بالتدريس في مساجدها في زمن الدولة الإخشيدية أبو اسحق المروزي إبراهيم بن أحمد أحد أئمة الدين انتقل في آخر عمره إلى مصر، وجلس في مجلس الشافعي واجتمع الناس عليه وضربوا إليه أكباد الإبل، وسار في الآفاق من مجلسه سبعون إماماً من أصحاب الحديث توفي بمصر سنة 340 هـ، 951م، ودفن عند الإمام الشافعي.[(2)]

ومن الفقهاء الذين رحلوا إلى مصر كذلك وقاموا بالتدريس فيها في عصر الدولتين الإخشيدية والفاطمية أبو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابه وزر بمصر لأنجور ابن الإخشيد ثم لأخيه أبي الحسن علي ثم لكافور الإخشيدي إلى أن أنقضت الدولة الإخشيدية، وإليه رحل أبو الحسن الدار قطني وصنف له ما صنف في مصر وهو أحد الحفاظ وكان يميل إلى أهل العلم وكان يملي الحديث[(3)]، يقول ياقوت الحموي [(4)]: " كان يعمل للوزير أبي الفضل الكاغد [(5)] بسمرقند [(6)]، ويحمل إليه إلى مصر في كل سنة، وكان في خزانته عدد من الوراقين (العاملين بالورق) " توفي في سنة (391هـ /1000م).

---

(1) السيوطي، المصدر نفسه، م2، ص 271-272.

(2) السيوطي، حسن المحاضرة، م1، ص 271.

(3) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد ا ياقوت بن عبد ا الرومي الحموي، (ت 626هـ -1228م)، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ط1، 7م (تحقيق عمر فاروق الطباع)، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 1999م، م3، ص 96-105؛ السيوطي، حسن المحاضرة، م1، ص 301.

(4) الحموي، معجم الأدباء، م3، ص 96-105.

(5) الكاغد: القرطاس.

(6) سمرقند: مدينة في آسيا أكثر سكانها من المسلمين اجتاحها جنكيز خان، سنة 627هـ -1229م، وخربها ثم استولى عليها تيمورلنك وجعلها قاعدة لملكه، تقع في أوزبكستان حالياً .

ومن فقهاء الشافعية الذين أدركوا العصر الإخشيدي أبو زرعة محمد بن عثمان بن إبراهيم الدمشقي وعبد الرحمن بن سيبويه الذي قدم مصر وتفقه بها وأفتى ودرس في جامعها العتيق وتوفي بها سنة (339هـ/950م)[1].

أما فقهاء المالكية فقد أدرك العصر الإخشيدي منهم هارون بن محمد الأسواني مات في سنة (327هـ/ 938م)، وعلي بن عبد ا بن أبي مطر المعافري الإسكندراني الفقيه مات سنة (339/950م) [2]. ومن المواد التي كانت تدرس في العصر الإخشيدي العلوم اللسانية وتشمل النحو والصرف ومتن اللغة وعلوم البلاغة والخطابة وغيرها.[3]

وممن اشتغل في تدريسها أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس أبو جعفر وهو من أهل مصر، رحل إلى بغداد وتلقى العلم هناك ثم عاد إلى مصر وكان له مجلس في مصر يملي فيه أخبار الشعراء، ومن مؤلفاته كتاب معاني القرآن وكتاب أخبار الشعراء، وأدب الكتّاب والكافي في النحو، وأدب الملوك وأن تصانيفه تزيد على الخمسين مصنفاً توفي سنة (337هـ/948م).[4]

وكذلك ابن الجبي وهو محمد بن موسى بن عبد العزيز أبو بكر الكندي المصري ويلقب بسيبويه، وكان عنده معرفة بالنحو والمعاني والقراءة والغريب والإعراب والأحكام وعلوم الحديث والرواية، لذلك لُقب بسيبويه. وله معرفة بأخبار الناس والنوادر والأشعار والفقه على مذهب الشافعي، جالس ابن الحداد الفقيه الشافعي وتتلمذ له وسمع من ابي عبد

---

(1) السيوطي، حسن المحاضرة، م1، ص 338-339.

(2) السيوطي، المصدر نفسه، م1، ص 375.

(3) خطاب عطية، التعليم في مصر، ص 53.

(4) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، م2، ص 149-153.

الرحمن النسائي، اجتمعت فيه ادوات الأدباء والفقهاء والصلحاء والعباد والمتأدبين ومات في سنة (358هـ/968م) [1].

ومن الصلحاء والصوفية الذين أدركوا العصر الإخشيدي أبو الحسن عابدين محمد بن سهل الدينوري المتوفى في مصر سنة (331هـ/942م) [2]. وأبو بكر محمد بن احمد بن سهل الرملي النابلسي وقد كانت له قصة مع كافور الإخشيدي صاحب مصر ذلك أن كافور بعث إليه بمال فرده وقال : قال ا تعالى " إياك نعبد وإياك نستعين "، فالاستعانة با تكفي فرد كافور الرسول بالمال إليه وقال قل له : قال ا تعالى " له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ". فأين ذكر كافور هنا ! فقال أبو بكر : صدق، الملك والمال ، كافور صوفي لا انا، ثم قبل المال [3].

أما عن العلوم العقلية مثل الطب فلا تذكر المصادر سوى القليل ممن اشتغل ، فيذكر أبن أبي أصيبعة بعض الأطباء في هذا العصر أمثال نسطاس بن جريج وكان نصرانياً عالماً بصناعة الطب وكان في دولة الإخشيد بن طغج [4].

والبالسي ولم يذكر لنا ابن ابي أصيبعة – كتبه – ولا مولده أو وفاته ولكن من الواضح أنه من أطباء الدولة الإخشيدية إذ يقول ابن أبي أصيبعة: " كان طبيباً فاضلاً متميزاً

---

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، م7، ص 46-47.

(2) السيوطي، حسن المحاضرة، م1، ص 422.

(3) السيوطي، المصدر نفسه، م1، ص 323.

(4) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم، (ت668هـ-1269م) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (تحقيق نزار رضا)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص 544، خطاب عطية، التعليم في مصر، ص 54.

في معرفة الأدوية المفردة وأفعالها وله من الكتب كتاب التكميل في الأدوية المفردة ألفه لكافور الإخشيدي"[1].

وسعيد بن البطريق وهو من أهل فسطاط مصر، وكان طبيباً نصرانياً مشهوراً عارفاً بعلم صناعة الطب وعملها، كانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم، وله من الكتب كتاب في الطب،وكتاب الجدل بين المخالف والنصراني، وكتاب نظم الجوهر يشتمل على ثلاث مقالات كتبه في صوم النصارى وفطرهم وتواريخهم وأعيادهم.

وتواريخ الخلفاء والملوك والمتقدمين وذكر البطاركة وأحوالهم ومدة حياتهم، ومات سنة (328هـ -939م)[2].

---

(1) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص 545.

(2) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص545-546.

الفصل الأول
الفكر التربوي عند الفاطميين

* أصول هذا الفكر
* أهدافه
* وسائل نشره

الفصل الأول

الفكر التربوي عند الفاطميين

1) أصول هذا الفكر :

قامت الدولة الفاطمية على مبادئ العقيدة الإسماعيلية، والتي حاولت جاهدةً نشر هـذه المبادئ بين الناس من خلال دعاة الإسماعيلية والمؤسسات التعليمية وعلى رأسها المـساجد، ودار الحكمة. وقبل الحديث عن أصول العقيدة الإسماعيلية ومبادئها، لا بد من التعرض لنشأة هذه الفرقة.

يبدأ تاريخ الإسماعيلية كحركة مستقلة عندما نشأ الجدل حول خلافـة الإمـام جعفـر الصادق الذي توفي 148هـ/765م، وتشير أغلب المصادر المتاحة إلى أن جعفر الصادق عين ابنه إسماعيل خليفة له بقاعدة "النص"، ولا يوجد أي شك في شرعية هذا التعيين الذي تعتمـد عليه كل ادعاءات الإسماعيلية التي استمدت أسمها من نسبتها إلـى إسـماعيل بـن جعفـر الصادق،[1] ولما كان إسماعيل بن جعفر الصادق قد توفي في حياة أبيه نحو 145هـ/761م فقد ذهبت الفرقة التي عرفت فيما بعد بالإثنى عشرية نسبة إلى أئمتهم الذين كانوا سلسلة من إثنى عشر إماماً تبدأ بعلي بن أبي طالب، وتنتهي بمحمد بـن الحـسن العـسكري الـذي اختفـى

---

(1) النوبختي، أبو محمد بن الحسن موسى، (ق3هـ/9م) فرق الشيعة، عنى بتصحيحه هـ. ريز، مطبعة الدولة، إستانبول، 1931م، ص57-58؛ الشهرستاني أبو الف تحقيق محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، (ت548هـ1153م)، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، 1984م، ج1، ص191؛ المقريزي إتعاظ الحنفا، ج1، ص136؛ الداعي إدريس عماد الدين القرشي، عماد الدين بن الحسن بن عبد ا بن علي، ت(872هـ/1467م) زهر المعاني، ط1، تحقيق مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1991م، ص(200-201)، أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية، ص(93-94)

وينتظرون عودته، ذهبت إلى أن موسى الكاظم الابن الثاني لجعفر الصادق هو الإمام الـسابع في سلسلة الأئمة الإثنا عشرية.[1]

وهنالك فرقتان ساندتا إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وتعد البدايات الأولى للحركـة الإسماعيلية، وقد ظهرت الفرقتان عند وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق وافترقتا عن بقية الإمامية بعد وفاة جعفر الصادق. الفرقة الأولى زعمت أن الإمام بعد جعفر بـن محمـد الـصادق إبنـه "إسماعيل بن جعفر"، وأنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه وقالوا كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس لأنه خاف عليه فغيبه عنهم، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملـك الأرض، وتدافع هذه الفرقة عن ادعاءاتها بأن جعفر الصادق إمام لا ينطق إلا بالحق وقد سمى النـوبختي هذه الفرقة بـ ((الإسماعيلية الخالصة))[2]، وأطلق عليها فيما بعـد الـشهرستاني الإسـماعيلية الواقفة[3].

أما الفرقة الثانية وتعرف بالمباركية نسبة إلى رئيس لها يسمى "المبارك" مولى إسماعيل بن جعفر، فزعمت أن الإمام بعد جعفر الصادق هو محمد بن إسماعيل بن جعفر، وقالوا أن الأمر لإسماعيل في حياة أبيه فلما توفي قبل أبيه جعل جعفر بن محمد الأمر لمحمد بن إسماعيل، وكان له ولا يجوز غير ذلك لأنها لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحـسين، ولا تكـون إلا فـي الأعقاب. ولم يكن لأخوي إسماعيل عبد ا وموسى في الإمامة حق[4].

وفي تفنيد أقوال من رأى بإمامة إخوة إسماعيل عبد ا وموسى ومحمد بعـد مـوت إسماعيل، يقول صاحب كتاب زهر المعاني: "وقد كان الصادق نص علـى ولـده إسـماعيل وأقامه إماماً بين يديـه،

---

(1) النوبختي، فرق الشيعة، ص66؛ أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص93-94

(2) النوبختي، فرق الشيعة، ص(57-58)؛ أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص95.

(3) الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص (167-168)

(4) النوبختي، فرق الشيعة، ص 58؛ أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 95.

وأخذت الحدود عنه، وأمرهم باتباعه بأمر الله له بذلك... فلما آن لاسماعيل الأجل أوصى والده أن يقيم لولده محمد حجاباً ومستودعاً، فسلمه أعني محمد بن إسماعيل إلى ميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران بن سلمان الفارسي فرباه، وأخفى شخصه وهو إبن ثلاث سنين مع ميمون القداح قدس الله روحه... وهو كفيل له ومستودع أمره... ثم إن الصادق أقام موسى بن جعفر حجاباً على محمد بن إسماعيل، وعلى من جعله له باباً الذي هو ميمون الستر عليه والكفيل... فاجتمع عليه كثير من الشيعة المخالفين للطريقة (الإمامية الإثنا عشرية)، وكتم الصادق إبن إبنه (محمد بن إسماعيل)، وأقام له ميمون القداح وابنه عبد الله الميمون كفلاً، وكتم أمره عن الخاص والعام إلا عن المخلصين العارفين لمن أوجب الله له الولاء....، وسار ميمون وولده في طلب دار هجرة لولي الأمر يأويها ويقيم الهادين فيها"[1] ثم يقول : "واعتقدت فرقة أن الإمامة رجعت القهقري وفرقة تعتقد إمامة موسى بن جعفر، إذ أقامه ولي الله ستراً على ولده إذ صار مستتراً، ثم إعتقدت فرقة أخرى إمامة الأفطح عبد الله بن جعفر فمات في عصر أبيه، وهو منقطع الولد فبطل ما ألفقوه من الترهات، وفرقة إعتقدت إمامة محمد بن جعفر، وتفرقوا بعد غيبة إسماعيل وذهبت بهم أهواؤهم كل مذهب إلى الأباطيل"[2].

وينقل الداعي إدريس عن جعفر بن منصور اليمن قوله: "فمن إدعى الإمامة من أولاد الأئمة الطبيعيين مقاماتهم الشريفة بغير نص حقيقي ولا نور إلهي فقد خاب وخسر وانقطعت عصمته منهم وبرأهم الله منه فبرء منهم.." [3].

وعند وفاة محمد بن إسماعيل إنقسمت الفرقة المباركية قسمين الأغلبية هم الذين ذكرت المصادر الإمامية أنهم الأسلاف المباشرون للقرامطة، الذين رفضوا قبول وفاة محمد

---

(1) الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 200-201

(2) الداعي إدريس، المصدر نفسه، ص 202

(3) الداعي إدريس، المصدر نفسه، ص 203-204

بن إسماعيل، واعتقدوا أنه حي وأنه سيعود في المستقبل القريب كمهدي أو قائم، ويعتبـرون محمد بن إسماعيل إمامهم السابع والأخير، وفريق ثان أقل حجماً يتسم بـالغموض واعتـرف أفراده بوفاة محمد بن إسماعيل وجعلوا الإمامة في ذريته[1].

وقد دخلت هذه الفرقة طوراً سرياً إستمر ما يقارب القرن عمل خلالها قيادات هـذه الفرقة بصبر وسرية من أجل خلق حركة إسماعيلية متماسكة، والتزم خلالها الأئمة بمبدأ التقية حماية لأنفسهم[2]. يقول الداعي إدريس عماد الدين "... وكانوا من بعد محمد بن إسماعيل قـد دخلوا في التقية، وأخفوا أنسابهم وأسماءهم لعظم المحنة والبلية خفيةً من عدوهم، وكان الدعاة وقت التقية يخفون إسم الإمام وربما تَسمى واحد من الدعاة بأسمائهم تقيةً عليهم وستراً"[3].

وتذكر المصادر الإسماعيلية أن محمد بن إسماعيل قد سلم أمر الإمامة إلى ولده عبد ا الرضى، وهو أول الأئمة الثلاثة المستورين[4]، وقد قام ببث دعاته إلـى جميـع البلـدان سراً[5]، يقول الداعي إدريس عماد الدين: " وكان استتاره لظلمة بالليل الشديد، وذلك لما غاب الباطل على الحق، ولشدة دولة الظلمة من آل عباس وعظم الريب والوسواس، وكـان لـشدة إستتار الإمام إذا اخذ أحد من دور دينه العهد على المستجيبين إلى دعوته يقول: "وإنك سـمعاً وطاعة لولي العصر، ولا يفوه باسمه فإذا ترشح في العلم وعلت فيه درجته وارتفعت منزلتـه

(1) النوبختي، فرق الشيعة، ص 61؛ أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 96

(2) أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 96

(3) الداعي إدريس عماد الدين القرشي، عماد الدين بن الحسن بن عبد ا بن علي (ت 872/1467م)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، ط1، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص 246-247

(4) الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 209؛ النيسابوري، استتار الإمام، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد الرابع، الجزء الثاني، 1936م، ص 95

(5) النيسابوري، إستتار الإمام، ص 95

كتب له اسم الحجاب ولا يكشف له إمامه ولا يبينه بإشارة ولا عبارة في كلامـه.... وجـرى ذلك مدة الأئمة المستورين حتى طلعت شمس الحق من مغربها[1]، وأنارت آفاق الدين"[2].

وكانت الإمامة من بعد عبد ا الرضي لأبنه أحمد التقي وكان حجتـه عبـد ا بـن ميمون فنشر الدعاة الذين قاموا بدورهم بنشر العلوم بين الناس كعلم الرياضـيات والهندسـة والنجوم والطب، وعلم الأبدان، والأديان، واللسان فأقبل عليهم الناس يتدارسوا هـذه العلـوم والإمام عنهم مكتوم[3].

ولما دنا أجل الإمام احمد التقي، سلم الأمر وأوصى به لولده الحسين بن أحمد الملقب بالحكيم وهو والد المهدي[4] وإقام الحسين إلى أن ولد له المهدي، ويذكر النيسابوري أنه لمـا أتت نقلة الإمام الحسين إستودع الإمامة في سعيد الخير وهو أخو المهدي وكان المهدي يومئذ طفلاً، فاستبد سعيد بالإمامة ونص بها على ولده فمات ولده ثم نص على الثاني فمـات، فمـا زال ينص على كل واحد منهم حتى هلكوا جميعاً، فعرف حينئذ أن الحق لا يفارق أهله فتـاب وجمع دعاته وأعلمهم أنه مستودع للإمام المهدي وسلم إليه الإمامة واعترف لـه بالوديعـة. فصارت الإمامة إلى المهدي[5]، الذي قام بإنفاذ ابن حوشب المنصور إلى اليمن[6]. وقال لـه: "ليس لليمن إلا أنت". فخرج إلى اليمن في سنة (268هـ-881م)، وهناك دعى للرضى من آل محمد، وانتشرت الدعوة في اليمن، وف تحقيق مدائن اليمن وملك صنعاء، وفرق الدعاة فـي

---

(1)المقصود قيام الدولة الفاطمية في المغرب.

(2)الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 209.

(3) النيسابوري، إستتار الإمام، ص 5؛ الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 212

(4) الداعي إدريس، المصدر نفسه، ص 216

(5) النيسابوري، استتار الإمام، ص 95-96

(6) هو أبو القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي من رجالات الشيعة، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 136.

اليمن والبحرين واليمامة والسند والهند ومصر والمغرب[1]، وكان ابن حوشب الذي اســتحق لقب "منصور اليمن" بفضل إنتصاراته الباهرة، قد تمكن قبل وفاة الإمام الحسين بن أحمد مــن تركيز نواة دولة إسماعيلية في تلك الربوع، وإقامة مركز نشيط للدعوة ينطلق منه الدعاة[2].

كما انتشرت الدعوة الإسماعيلية في العراق على يد حسين الأهوازي داعية العــراق، وحمدان قرمط [3] الذي دخل في المذهب الاسماعيلي سنة 261هـ/874م على يد الداعي حسين الأهوازي، وتولى حمدان قرمط أمر الدعوة في مسقط رأسه سواد الكوفــة ومنــاطق أخــرى جنوب العراق، وعاونه في ذلك زوج أخته عبدان- الذي قدم من الأهواز وقام بنشر الــدعوة في جنوب فارس، وفي هذه الفترة أخذت الدعوة الإسماعيلية في الظهور في مواضع متعــددة في وسط وشمال وغرب فارس وإقليم الجبال، حيث استقرت الدعوة في الري[4].

وكان قرمط يدعو إلى إمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر الــصادق، وأنــه الإمــام المهدي الذي يظهر في آخر الزمان ويقيم الحق، وأن البيعة له[5].

وهكذا مثّلت الإسماعيلية بين منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وســنة 286هـ/899م حركة موحدة تبشر بقرب ظهور محمد بن إسماعيل كمهدي أو كقائم[6].

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 136.

(2) فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ط1، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص 75

(3) حمدان بن الأشعث قرمط من سواد الكوفة وإنما قيل له قرمط لأنه كان قصيراً ورجلاه قصيرتين وخطاه متقاربة فسمى لذلك قرمطاً. المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1، ص 216.

(4) المقريزي، المصدر نفسه، ج1، ص 216-219. أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 97.

(5) المقريزي، المصدر نفسه، ج1، ص 220.

(6) أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 97.

وكان لحمدان بن قرمط مراسلات منتظمة مع رئاسة الدعوة في مدينة سلمية[1] فلمـا توفي الإمام الحسين بن احمد، وتولى الإمامة إبنه عبد ا بن الحسين (الإمام المهدي فيما بعد) كتب إلى قرمط الذي لاحظ بعض التغييرات في التعليمات المكتوبة إليه من سلمية وحتى يتأكد من حقيقة هذا التغيير قام بإرسال معاونه عبدان إلى سلمية فعرف بموت الإمام الحـسين بـن احمد وعلم بأن عبد ا (المهدي) قد أصبح رئيساً للدعوة، وبدلاً من إعلان مهدية محمد بـن إسماعيل التي كانت الدعوة تمهد له. فإن عبد ا (المهدي) يدعو الآن إلى إمامته هو وإمامـة أسلافه، فرجع عبدان إلى حمدان بن قرمط وأعلمه بالخبر، فما كان من حمـدان إلا أن قـام بجمع الدعاة، وأمرهم بقطع الدعوة عن صاحب سلمية (المهدي) وبهـذا تعرضـت الحركـة الإسماعيلية لأول انشقاق خطير في بنائها أدى إلى إنقسامها إلى حزبين متنافسين هما اللـذان أصبحا يعرفان فيما بعد بـ "الإسماعيلية الفاطمية" و "القرامطة"[2].

أما عن وصول الدعوة الإسماعيلية إلى المغرب فيذكر المقريزي أن جعفر الـصادق بعث داعيتين وهما الحلواني وأبو سفيان، وقد بعثهما جعفر الصادق سنة 145هـ/762م وقـال لهما "إن المغرب أرض بور، فاذهبا فاحرثا حتى يجيء صاحب البذر"[3]، والمقصود بصاحب البذر هو أبو عبد ا الشيعي[4] داعي المغرب، وكان أبو عبد ا الشيعي هذا جاراً لأبي علي الداعي في الكوفة هو وأخوه أبو العباس محمد بن احمد بن زكريا، ولما علم بخروج أبو علي الداعي إلى مصر سألا صهره فيروز ورغبا إليه معاً بالجوار والتشيع فـسأل لهمـا فيـروز

---

(1) سلمية: من أعمال حماة ببلاد الشام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، م3، ص133.

(2) المقريزي، المصدر نفسه، ج1، ص 288؛ أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 98-99.

(3) المقريزي، المصدر نفسه، ج1، ص 130؛ حسن ابراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 46.

(4) أبو عبد ا المحتسب، وأصله من الكوفة وأسمه الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا بن رام هرمز وكان محتسباً بسوق الغزل في البصرة وقيل: إنما المحتسب أخوه أبو العباس محمد ويعرف أبو عبد ا بالمعلم كان يعلم الناس مذهب الإمامية الباطنية. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 137

الإمام- بعد أن أخذ عليهما فيروز العهد ورباهما وفقههما- في إنفاذ أبو عبد ا الشيعي إلـى مصر ثم إلى إبن حوشب الداعي باليمن، وإنفاذ أخيه أبي العباس إلى مصر مـع أبـي علـي الداعي بها[1]، ولما وصل أبو عبد ا الشيعي إلى اليمن لزم إبن حوشب وشهد مجالسه وأفـاد من علمه، ثم خرج أبو عبد ا مع حجاج اليمن إلى مكة، وذلك بأمر من الإمام الذي كتب إلى إبن حوشب يأمره بإنفاذ أبي عبد ا إلى مصر، وفي الحج لقي أبو عبد ا جماعة من قبيلـة كتامة (من المغرب) فاختلط بهم، ووجد لديهم بذراً من ذلك المذهب[2] وخرج معهم، وعنـدما وصل مصر أظهر لهم أنه يريد المقام بمصر من أجل طلب العلم، فأصروا عليه إلى الـذهاب معهم إلى المغرب وقالوا له: "عندنا كثير من إخوانك ممن يذهب إلى ما أنت عليه، فلو رأوك ورآك الناس ما رضوك إلا بشيوخهم دون صبيانهم، وليس مثلك من نجلبه لتعليم صبياننا وما تريده لوجه التعليم فأنت تجد أضعافه في أموالنا"[3] ولما وصل أبـو عبـد ا الـشيعي إلـى المغرب سنة 280هـ، أقبل الناس إليه من كل ناحية، فجاهر بمذهبه وأعلن إمامة أهل البيـت، ودعا للرضى من آل محمد[4] وكان يجلس للناس، ويحدثهم بظاهر علم الأئمة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ذريته فإذا رأى الواحد منهم قد لقن عنه وأحس فيه ما يريده أخذ عليه العهد[5].

---

(1) محمد بن محمد اليماني، ق 4هـ/9م، سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد الرابع، الجزء الثاني، 1936م، ص 121

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص 138-140.

(3) النعمان بن محمد، رسالة افتتاح الدعوة ص 67

(4) النعمان بن محمد، رسالة إفتتاح الدعوة ، ص 73؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 138

(5) النعمان بن محمد، رسالة إفتتاح الدعوة ، ص 73؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 89

وعرف أبو عبد ا وأشتهر أمره ب "المشرقي" ومن دعاه ودخل في أمره نسب إليه فقيل إنه مشرقي فسموا المشارقة[1].

وفرق أبو عبد ا الشيعي الدعاة بين القبائل في المغرب[2]، وتجرد بنفسه للمجـالس، وكان يجلس في كل يوم للمؤمنين يحدثهم ويشرح لهم وأمر الدعاة بذلك[3]، "حتى أن النـساء كن يشهدن المجالس ويسمعن الحكمة وكان منهن عجائز يسمعن ذلك ممن قد بلغ حد الـدعوة، منهن أم موسى إبنة الحلواني..."[4]، وكن كذلك يخدمن المؤمنين ويعالجن المرضى ويأسـين الجرحى على نيات وبصائر لما كُن يسمعن من الذكر والحكمة، وقـومن عليـه مـن الأدب والسياسة..."[5].

وكان أبو عبد ا الشيعي يرسل إلى إفريقية قوماً يأتونه بالأخبار وكان لا يمر يوم إلا وعنده منها خبر[6].

وفي هذا الوقت كان الإمام المهدي يقيم في مدينة سلمية، وكان يعاشر قوماً من أهلهـا هاشميين من ولد عبد ا بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وكان يظهر لهم أنه عباسـي، وكانت الأموال والذخائر تحمل إليه من كل بلد من قبل الدعاة، وفي الوقت نفسه كان الإمـام المهدي يلاطف كل عامل يلي بسلمية ويهدي إليه ويبالغ في الإحسان إليه حتى يكـسبه إلـى جانبه[7]. وقد استراب أحد ولاة المدينة من الأتراك في أمر الإمام الإسماعيلي لجزيل ما كـان

---

(1) النعمان بن محمد، رسالة إفتتاح الدعوة ، ص 76؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 94
(2) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء ، ص 113. النعمان بن محمد، رسالة افتتاح الدعوة، ص 140
(3) النعمان بن محمد، رسالة افتتاح الدعوة، ص 140
(4) النعمان بن محمد، رسالة إفتتاح الدعوة، ص 133
(5) النعمان بن محمد ، المصدر نفسه، ص 133-134
(6) النعمان بن محمد ، المصدر نفسه، ص 141
(7) محمد اليماني، سيرة الحاجب جعفر، ص 108

يوليه ويسدي إليه وأخذ يتعرف أخبار الإمام ويسأل عنه فلما علم المهدي مـراده كتـب إلـى الدعاة ببغداد للعمل على عزله ونجحوا في ذلك، ولما عاد الوالي إلى بغـداد فأسـر للخليفـة العباسي بما قيل له عن المهدي وطلب منه القبض عليه[1].

وتصادف أن خرج في هذا الوقت رجل بالشام يزعم أنه قرمطي، فلم يـشك الخليفـة العباسي في أنه خرج يدعو للإمام الإسماعيلي لأنه سار يريد سلمية فبادر الخليفـة العباسـي وأمر الوالي التركي بالتوجه إلى سلمية، والقبض على الإمام الإسماعيلي قبل أن يـصل إليـه القرمطي، فكتب الدعاة في بغداد إلى المهدي بما جرى، وسبقت كتب الدعاة إلى سـلمية قبـل وصول الوالي التركي فأعد الإمام العدة للخروج من سلمية[2]. فأمر أصحابه بالتأهب للـسفر، وأظهر لهم بأنه يريد الخروج إلى اليمن. وخرج المهدي برفقة إبنه القائم وجماعة من خواصه ومواليه حتى وصل إلى دمشق ثم إلى طبرية ومنها إلى الرملة حيث توجه إلى مـصر حيـث استقبلهم الداعي أبو علي، وفي هذا الوقت وصل كتاب من بغداد إلى عامـل مـصر بـصفة المهدي، وطلب القبض عليه[3]، وكان المهدي متستراً بزي تجار، فجاء الرد بأن الرجل الـذي نزل مصر (المهدي) هو رجل هاشمي شريف تاجر من وجوه التجار معروف بالفضل والعلم، وأن الذي أتى الرسول في طلبه قد توجه إلى اليمن[4]، وكان هذا هو السبب في تغيير وجهـة الإمام المهدي من اليمن إلى المغرب[5] بالإضافة إلى نجاح الداعي أبو عبد ا الـشيعي فـي نشر الدعوة وسط قبيلة كتامة في المغرب الأقصى، وما حققه من نصر على الأغالبـة مـن الأسباب المباشرة التي دعت المهدي إلى التوجه إلى المغرب، وكان أبو عبد ا الـشيعي قـد

---

(1) المصدر نفسه، ص 109

(2) المصدر نفسه، ص 109-110

(3)محمد اليماني، سيرة الحاجب جعفر، ص 110-113

(4) المصدر نفسه، ص113 المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 144

(5) محمد اليمانين سيرة الحاجب جعفر، ، ص 114

سير رجالاً من كتامة إلى المهدي في سلمية قبل خروجه يخبرونه بمـا فتحـه الله عليـه هناك(1).

فخرج المهدي من مصر حتى وصل إلى طرابلس ثم إلى القيروان، ودخل سجلماسـة ببلاد المغرب وكان على سجلماسة اليسع بن مدرار فورد عليـه كتـاب زيـادة الله الأغلـب صاحب أفريقية بالقبض عليه فقبض عليه هو وابنه أبو القاسم نزار (القائم)(2). فسار أبو عبـد الله الشيعي من المغرب في جماعة من البربر، ودخل سجلماسة واخرج عبيد الله المهدي وابنه من الحبس وبايعه، وارتحل إلى المغرب. وذلك في سنة 296هـ/908م(3). وبخروج المهـدي يكون هو أول أئمة الظهور عند الإسماعيلية وذلك بعد الطور السري الذي مـرت بـه هـذه الدعوة. ومن جهة أخرى قيام الدولة الفاطمية في المغرب.

هذا وقد نشأ جدل كبير حول نسب الخلفاء الفاطميين، واختلـف المؤرخـون إختلافـاً كبيراً بين من يثبت صحة نسبهم إلى الإمام علي بن أبي طالب وبين من ينكر ذلـك، وربمـا يعود هذا الاختلاف إلى كون الحركة الإسماعيلية قد دخلت طوراً سرياً تخلله ثلاثة من الأئمة المستورين، مما خلق جدلاً كبيراً حول استمرارية الإمامة في هذه الفترة الغامضة فـي نـسل الأئمة من أبناء علي بن أبي طالب، أم أنها خرجت عنهم(4). وعموماً فإن الخوض في مـسألة نسب الخلفاء الفاطميين من القضايا الشائكة، والتي قد لا تفضي إلى أي نتيجة أو جواب شافٍ.

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 144. أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 117

(2) محمد اليماني، سيرة الحاجب جعفر، ص 114-122؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا ص 144-145. القلقشندي، أحمد بن عبد الله (ت 821هـ/1418م) مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت، 1964م، ج2، ص 249

(3) محمد اليماني، المصدر نفسه، ص 123؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 148؛ القلقشندي، المصدر نفسه، ج2، ص 249. أبو الفدا، المختصر، ج2، ص 95

(4) حول نسب الخلفاء الفاطميين أنظر: أبو الفدا، المختصر، ج2، ص 93-94؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص118-125؛ المواعظ والاعتبار، ج2، ص 26-28؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،

هذا وقد قامت الدولة الفاطمية على أساس تشابكت فيه السياسة مع الـدين، فكانـت الدعوة عماد هذه الدولة وأهم ما ميزها عن الأنظمة الإسلامية الأخرى، فلم يستطع الفاطميون أن ينفصلوا عن الدعوة كما سبق، وفعل العباسيون، فقد كانوا ينتظرون منها الكثير، فقد كانت بمثابة السلاح لهذا النظام الفاطمي[1].

وقبل الحديث عن العقائد الإسماعيلية تجدر الإشارة، إلى انه لا يمكن بأي حال مـن الأحوال، أن تدرس هذه العقائد على أنها عقائد ثابتة لفرقة موحدة بل هي عقائد تطورت حسب البيئات والأزمان، لكل بيئة عقائدها، وتطورت العقائد في كل بيئة بمرور الـزمن فاختلفـت العقائد الإسماعيلية باختلاف البيئات، وتشعبت آراء الإسماعيلية بحيث أصبح من الـصعب أن نُلم بأطراف العقائد الإسماعيلية طوال تاريخها[2]. لهذا سنحاول التركيز على العقائد الأساسية والثابتة عند فرقة الإسماعيلية.

وأولى العقائد الإسماعيلية، وأكثرها أهمية هي الإمامة وهي محور من محاور الفكر السياسي للدولة الفاطمية في مصر[3]، ويعتقد الإسماعيليون بأن الرسول (ﷺ) قد جعل دعـائم الإسلام (أركان) ستاً والسابعة هي الولاية وهي أفضلها، والدعائم الستة الباقية هـي الطهـارة

==== ص 246-247؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت 911هـ/1505م، تاريخ الخلفاء، ط1، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1952م، ص 4-6؛ فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية ص (61-76)

(1) ابن الطوير، ابو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت617هـ/1220م) نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، ط1، تحقيق أيمن فؤاد سيد، فرانتس شتاينر، شتو تجارت، 1992م، مقدمة التحقيق، ص 76

(2) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، (ت386هـ/996م) سيرة الاستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيره، دار الفكر العربي (د.ت)، مقدمة التحقيق، ص 17

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، (ت808هـ/1406م) مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص 196؛ عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الانجلو المصرية، 1953م، ص 51

والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد[1]. فلا ثواب لعامل الست إلا باعتقاد الـسابعة، وعلمها بالحقيقة[2]. وهي أعظم الدرجات بعد النبوة[3] وهي أصل الدين وعمدته وسنام الأمـر وقطبه[4].

والإمامة عندهم بالنص، وليست بالاختيار، وهذا يعني الدلالة الصريحة للإمام علـى من سيخلفه[5]، والنص مبدأ أساسي عند الإسماعيلية يؤكدون عليه ويدافعون عنه يقول الداعي المؤيد في الدين: "...إن الخلافة والإمامة بنص من ا على من يستحق من الكرامة، وأن هذا الأمر لو كان باختيار البشر كما يزعم بعض أهل النظر لما اختار كل واحد غير تقديم نفـسه، أو من يوافقه من أبناء جنسه. ألا تسمع إلى قول الملائكة وهم أهل الصفوة والمراتب الشريفة لما أخبرهم ا أنه جاعل في الأرض خليفة، ولم يستشرهم في ذلك ولا جعل لهـم الاختيـار. كيف أسرعوا إلى ذم من لم يشاهدوه ووصفوا أنفسهم فقالوا: "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك"[6].

قال مجيباً لهم : "إني أعلم ما لا تعلمون" اراد سبحانه أني أعلم من اختيار من يجـب إختياره ما لا تعلمون وكذلك وصف من اختاره من صفوته وخصه بعد آدم بخلافته من أئمـة

---

(1) الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 146؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 561؛ الشيرازي، المؤيد في الدين هبة ا بن أبي عمران موسى، (ت470هـ/1077م) المجالس المستنصرية، ط1، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص 34

(2) الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 146.

(3) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 201

(4) إبن حيون، النعمان بن أبي عبد ا محمد بن منصور بن أحمد بن حيون، (ت363هـ/973م) المجالس والمسايرات، ط2، تحقيق الحبيب الفقي وابراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 144.

(5) الغزالي، أبو حامد محمد، (ت505ه/1111م) فضائح الباطنية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الدار القومية، القاهرة، 1964م، ص 132، 174؛ عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين، ص 56

(6) الشيرازي، المجالس المستنصرية، ص 148

الدين صلوات ا عليهم أجمعين فقال: "ولقد اخترناهم على علم على العالمين[1]" فكيف يجوز بعد ذلك أن يعول على إختيار البشر لإمام يقيمونه أو وصي يقدمونه..." [2].

ويورد أيضاً عن الإمام جعفر بن محمد الصادق أنه قال لبعض شيعته وقد سأله عـن ولي الأمر بعده: "لعلك تظن أن شيئاً من ذلك إلينا نفعل فيه ما أردنا، لا وا ولا نتبع في ذلك إلا ما سنه ا عز وجل ورسول (ﷺ) لنا ولا نفوض منه ما فوضنا إلا لمن أمرنا بتفويـضه إليه ودللنا بشواهده عليه، وا عز وجل يرضى لذلك من يرتضيه ويراه أهلاً لما خصه مـن كرامته"[3]. وفي هذا النص دلالة واضحة على أن الإمامة عندهم بالنص من ا تعالى علـى من يريد وليست باختيارهم .

ويقول الداعي إدريس: " وهم (الأئمة) المصطفون من ذريته والظاهرون من عترتـه الذين جرى النص فيهم من واحد إلى واحد، وفي مولود عن والد حتى انتهى إليهم من علـي أمير المؤمنين عن محمد خاتم النبيين المرسلين عن جبرائيل الروح الأمين، عن رب العالمين ليسوا كمن ولت العامة [4]على أنفسها، ونصبته لديها بغير وحي من ا ولا نص من رسـوله ولا تنزيل من كتابه[5]"وبالتالي فإنه لا توجد عندهم شروط معينة في الإمام المنصوص عليـه على عكس ما عند أهل السنة الذين يطلبون شروطاً لازمة في شخص الخليفة المنتخب بإجماع الأمة[6]. كما لا توجد عندهم على الإطلاق شروط تتعلق بعمر الإمـام فكثيـر مـن الأئمـة

---

(1) سورة الدخان، الآية [32].

(2) سورة البقرة، الآية [30].

(3) الشيرازي، المصدر نفسه، ص 149

(4) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 245

(5) العامة: المقصود بهم أهل السنة والجماعة.

(6) عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين، ص 56

الفاطميين تولوا الإمامة صغاراً فالحاكم بأمر ا تولى الخلافة وله من العمر إحـدى عـشرة سنة[1]، والمستنصر با وعمره سبع سنين[2]، والآمر بأحكام ا خمس سنين[3].

كما يترتب على عقيدة النص عند الإسماعيليين بطلان القول بالقياس والاستنباط، وقد استدلوا على بطلانهما من قول الملائكة في قصة آدم عليه السلام عندما سألهم ا عز وجـل عن الأسماء فقالوا: "سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا"[4] ويعقب الداعي المؤيد في الدين علـى هذه الآية بقوله: "فهذا إثبات بعد نفي، فنفوا عن أنفسهم كل العلم إلا ما علمهم ا إيـاه، ولـم يستنبطوا بعقولهم لما قال لهم: "أنبئوني بأسماء هؤلاء"[5] وعرض عليهم المسمين، وقد كـان يتسع لهم بالقياس أن يقولوا لمن رأوه طويلاً هذا الطويل، ومن رأوه قصيراً هذا القصير، فلـم يستجيزوا ذلك..."[6]. ويشترط في النص عندهم أن يصدر عن الإمام وقت نقلتـه- أي عنـد موته- بمعنى أنه إذا صدر عن الإمام أكثر من نص لأكثر من ولد من أولاده فإنه لا يؤخذ إلا بالنص الأخير الذي صدر عنه وقت وفاته وإنتقاله إلى الدار الآخرة، لأنه في رأيهم يجب كـل النصوص الأخرى السابقة. وهذا ما يظهر جلياً من قول الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام ا حين يقول: "... لم يكن تثبيت الإمامة إلا بنص صحيح يؤخذ من لسان المؤيد المرشد إلى الحق في وقته وزمانه، لا يكتفى في ذلك بمجرد قوله، دون ما يعمهم من حقيقـة إشـارته وفعلـه، ولا يعتمد في ذلك إلا على ما يقرره في وقت انفصاله ودقيقة انتقاله، وإلا فقد ينص علـى أشـياء تقتضيها الحكمة في وقت، وتوجبها السياسة في حال، ثم ينسخها في مقام آخـر، وكـل ذلـك

---

(1) الروحي، بلغة الظرفاء، ص 305؛ عبد المنعم ماجد، المرجع نفسه، ص 56-57

(2) المصدر نفسه، ص 317

(3) المصدر نفسه، ص 330

(4) سورة البقرة: الآية (32)

(5) سورة البقرة: الآية (31)

(6) الشيرازي، المجالس المستنصرية، ص 149

بحسب الأصلح في إرشاد الخلق على قدر منازلهم وطبقاتهم"[1]، ويقول أيضاً في موضع آخر في تأكيد أحقية والده المستعلي بالخلافة دون أخيه نزار: "ثم إنه لما حضرته النقلة (المستنصر با والد المستعلي) إلى دار الكرامة، وحانت دقيقة الإنتقال، وهو الوقت الذي يعول فيه علـى النص أشار إليه ونص مصرحاً عليه، وأمر من حضر بطاعته..."[2].

والإمامة عندهم تنتقل في الاعقاب أي من الوالد إلى الولد، والنص لا يرجع القهقري، ولا يعود إلى الوراء، فلا يجوز أن تنتقل الإمامة من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين وبـذلك أولوا الآية القرآنية "وجعلها كلمةً باقيةً في عقبة"[3] بأن النص لا يكون إلا فـي الأعقـاب[4]، وهذا المبدأ هو الأساس الذي قامت عليه فرقة الإسماعيلية كما أسلفنا. وفي التأكيد علـى هـذا المبدأ يقول الداعي إدريس: " فقد صحت إمامة إسماعيل بن جعفر وبقيت كلمة ا في عقبـه وفي كل إمام من ذريته إن ظهر أو ستر وبطل ما ادعاه المفترون"[5]. وفي موضع آخر يؤكد أيضاً على هذا الشرط فيقول: " ولا يكون الإمام المستحق لمقام الإمام إلا ولد الإمام، ونجلـه الذي به لعلمه الكمال والتمام، ولا يخرج عن العقب ابن، ولا يزال والد يقيم ولداً نسباً طبيعياً، وولداً هادياً مهتدياً يجمع النسب والسبب، ويخاف أباه بعد انتقاله في أسن الرتب، وكل من ظن أن ذلك في غير العقب فقد ظن محالاً، وضل عن سبيل المحجة ضلالاً... وملعون من اعتقـد

---

(1) مجموعة الوثائق الفاطمية، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1958م، المجلد الأول، الوثيقة الرابعة، ص 210.

(2) مجموعة الوثائق الفاطميـة، المجلد الأول، الوثيقة الرابعة، ص 216.

(3) سورة الزخرف، الآية : 28.

(4) إبن حيون، المجالس، ص 114، الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 249.

(5) الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 204.

أن الإمامة ليست في ولد عن والد يتسلمها من الأئمة واحداً بعد واحد، ومن ظن غير ذلك ورد في المتالف والمهالك"[1].

ولا بد لكل عصر من إمام هادٍ[2]، ولا يجوز أن تنقطع الإمامة من العالم طرفة عين وذلك لأنها الحجة من الله تعالى على الخلق[3]، فهم الذين يبينون السبيل الصحيح للناس، ويعلنون دين الله حسب الإمكان[4]، فلهذا لا يمكن أن يترك الله خلقه دون إمام يقوم بأمرهم. يقول الخليفة الفاطمي المعز لدين الله: "فإياك أن تقول أو تعتقد أن الله عز وجل قد أهمل الخلق ولا يهملهم طرفة عين من قيام إمام من أعقاب الرسل والأئمة يقوم بأمر الأمة، فإن قال قائل بخلاف ذلك فقد أشرك وهو قول شاع في دعوتنا وذاع على ألسنة جماعة ممن ينتسب إلينا..." [5] وحول الداعي إلى قيام الإمامة في الكون يقول الداعي السجستاني: ".... فواجب أن يكون في زمان للخلق إمام هادٍ مهتدي لا تخلو الأرض منه ظاهراً أو مستوراً، وليس الأمر كما يتوهم العوام من الأمة أن الله تعالى أهمل خلقه، وتركهم سدى بلا داعٍ ولا هادٍ ولا آمر..." [6] ويقول أيضاً: "إن في إرسال الرسل إلى خلقه، وإهماله إياهم بعد خروج الرسل من العالم من غير إقامة إمام... جل الفساد الذي يؤدي إلى الهرج والبوار، والدليل ما ظهر في الأمة من الاختلافات التي أدت إلى سفك الدماء، واستحلال الفروج المحرمة، وظهور الخلاف وتكفير

---

(1) المصدر نفسه، ص 102-103

(2) ابن حيون، المجالس، ص 109

(3) علي بن محمد بن الوليد، تحفة المرتاد وغصة الأضداد، من كتاب أربعة كتب إسماعيلية منقولة عن النسخة الخطية المحفوظة في مكتبة أمبروسيانة- ميلانو عنى بتصحيحها د. شتروطمان المجمع العلمي غوتينغن أعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثنى- بغداد، ص169

(4) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 547

(5) المصدر نفسه، ص 250

(6)السجستاني، أبو يعقوب اسحاق بن أحمد، (ت353/964م) كتاب الافتخار، تحقيق مصطفى غالب، دار الاندلس، بيروت، (د.ت) ص 70

الأمة بعضها بعضاً وذلك لصرف الإمامة عمن جعلها إليه، فكيف لو أهمل ا الإمامة ولم يقلد لها رئيساً في كل زمان أيكون للملة بقاء وللدين ثبات؟ كلا لن يكون ذلك بل الذي بقـي منهـا فإنما هو ببركة المنصوبين للإمامة، وإن تغلّب الظلمةُ عليهم وسلبوا مجالسهم... فوجب إقامة الأئمة في الأزمنة لهداية الخلق ولحفظ الدين وإذا وجب ذلك وجب أن لا ينالهـا الإنـذال ولا يدركها الأشرار والسفهاء بل من جمع ا فيه مكارم الأخلاق ومعاليها..."[1].

ويستدلون على ذلك بآيات من القرآن الكريم[2]، كقوله تعالى: "إنما أنت منـذر ولكـل قـوم هادٍ"[3] وقوله أيضاً: "يوم ندعو كل أناس بإمامهم"[4] وقوله تعالى: "وجعلنـاهم أئمـة يهـدون بأمرنا"[5].

ومن أهم الشروط الواجبة للولاية أو الإمامة هو وجوب معرفة إمام الزمان، ومعرفـة إمام الزمان عندهم تأتي في المرتبة الثالثة بعد معرفة ا سبحانه وتعالى وتوحيده، ثم معرفـة الرسول(ﷺ) والتصديق بما جاء به، ثم معرفة الإمام وهذا هو كمال الإيمان عندهم وبه الفوز عند الحساب والنجاة من العذاب[6]. يقول الداعي الشيرازي[7]: "إن الإخلاص في شهادة أن لا إله إلا ا الذي يوجب دخول الجنة هو معرفة حدودها، وتأدية حقوقها ما بيناه من أن حقوقها هي فرائض الإسلام... وأن معرفة حدودها هي معرفة الأئمة القائمين بهذا الدين الذين جعلهم ا المظهرين لإعجازه، والمطنبين في بيان إعجازه والمجاهدين على إظهاره، وإعزازه وسبق

---

(1) السجستاني، الافتخار، ص 71.

(2) السجستاني، المصدر نفسه، ص 70، ابن حيون، المجالس، ص 190.

(3) سورة الرعد، الآية: [7].

(4) سورة الاسراء، الآية [71].

(5) سورة الأنبياء، الآية [73].

(6) الشيرازي، المجالس المستنصرية، ص (15-16). الشيرازي، ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، ط1، تحقيق محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، القاهرة، 1949، مقدمة التحقيق، ص (71-72)

(7) الشيرازي، المجالس المستنصرية، ص 34

وعده بأن يظهره على الدين كله فمن أدى حقوق هذه الشهادة بالقيام بـالفرائض التـي قـدمنا ذكرها، ولم يعرف حدودها التي أشرنا إليها فهو مسلم غير مؤمن. ويروون عن النبـي (ﷺ) حديثاً يوجهه عليه الصلاة والسلام لعلي بن ابي طالب، وهم يستدلون به على وجوب معرفـة الإمام، وهو قول الرسول (ﷺ) لعلي: "أنت يا علي والأوصياء من ولدك أعراف الله بين الجنة والنار، لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه ولا يدخل النار إلا من أنكرتموه وأنكركم"[(1)].

وهم يوجبون الطاعة العامة لولي الأمر ألا وهو الإمام، ويربطونها بطاعة الله وطاعة رسوله[(2)]، وذلك إستناداً لقوله تعالى: "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"[(3)] ويقول الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله إبن المهدي في تفسير هذه الآية: "فجعل الطاعة فريضة وصل بها طاعة ولاة أمره، فهم القائمون بحقه، والداعون إليه من رغب إلى طاعته واستخـصهم بالإمامة التي هي أعظم الدرجات بعد النبوة، وفرض على العباد حقوقهـا وأمـرهم بأدائهـا وجعلها موصولة بطاعته فضاعف لهم الثواب بقدر ما والوا من أُمروا بولايته... "[(4)].

ولا نكاد نجد كتاباً من كتبهم يخلو من حديث طويل عن طاعة الأئمـة، لأن مـسألة الإمامة كما رأينا أقوى دعائم الإسلام في عقيدتهم[(5)]. من ذلك "إن كل إمام من ولد علي سفينة في زمانه ينجو من لجأ إليها من غرق طوفان البدع والضلالة ما استقام على ولايتهم، وثبـت على قبول أوامرهم ونواهيهم والعمل بطاعتهم"[(6)]، ويقول الداعي إدريس: "فكل إمام في زمانه

---

(1) الشيرازي، المصدر نفسه، ص 137

(2) الشيرازي، مذكرات داعي الدعاة، تحقيق عارف تامر، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1983م، ص 46

(3) سورة النساء، الآية : 59

(4) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 201

(5) الشيرازي، ديوان المؤيد، مقدمة التحقيق، ص (70).

(6) مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية لمؤلف مجهول من كتاب أربعة كتب إسماعيلية، ص 33.

هو اسم الله في عصره، وطاعتهم له هو وجه العبادة فمن عرف إمام زمانه، واخذ عهـده وسلم في جميع أموره وعرف حدوده وأقر بها وأدى لكل حدٍ حقه، ولم يلحد فيها فقد عرف الله بحقيقة المعرفة ووحده من وجه توحيده، ومن رأى الإمام بغير الصورة وجهل مقامات الحدود فما عرفه ولا عرف الله ولا وحده ولا أطاعه ولا عبده. فكانت طاعته لغير الله، وعبادته فـي غير مرضات الله، ولا تمسك بحبل الله، وكان شاكاً في الله مشركاً"[1]. ويقول الخليفة الفاطمي المعز لدين الله مؤكداً على ضرورة طاعتهم وإلتزام أوامرهم في إحدى خطبه: "فأوجـب (الله) للعباد الثواب بطاعتهم، وإجابة دعوتهم، وقبـول هـدايتهم، والعقـاب وإسـخاطهم بجحـدهم وإنكارهم.... وقد قرن الله طاعة أئمة الهدى بطاعة الرسل، وطاعة الرسل بطاعتـه فقـال: "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"[2]... فأطيعونا تهتـدوا، وتمـسكوا بحبلنـا ترشدوا"[3]. حتى في أشعارهم نجد التأكيد على نفس المعنى كقول الداعي المؤيد في الدين في إحدى قصائده[4]:

وإنمـا الطـاعة للأطـهار	آل النبي الـصفوة الأبـرار
آل الرشاد والتقى والعصمة	أئمة مـا فارقتـهم وصمـة
جرى بها لفظ الكتاب واتسق	يخبر عن عمومها على نسق
كطـاعة الله على خلـيقته	والمصطفى على جميع أمته

ومقابل هذه الطاعة فقد فرض الإسماعيليون واجبات على الإمام هي من حقوق العباد نجدها ملخصةً في إحدى خطب الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله حيث يقول: "... ولـيس للإمـام أن

(1) الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 166.
(2) سورة النساء، الآية [59].
(3) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 547.
(4) الشيرازي، ديوان المؤيد، القصيدة الثانية، ص 205.

ينقص الرعية حقها، ولا للرعية أن تنقص حق إمامها فمن حق الرعية على إمامها إقامة كتاب ا جل ثناؤه، وسنة نبيه (ﷺ) وعلى آله، والأخذ لمظلومها من ظالمها، ولضعيفها من قويها، ولوضيعها من شريفها، والتفقد لمعاشها واختلاف حالاتها نظر الشفيق على عياله بجهده، الكالئ لهم بعينه. فإنه عز وجل فيما حمد من أخلاق نبيه ورسوله قال: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم"[1] فإذا فعل ذلك كان على الرعية إجلاله وإكرامه ومكانفته والاستعداد، والاستقامة ما استقام على كتاب ا وسنة نبيه"[2].

هذا وقد ذهبت الإسماعيلية بعيداً إلى حد تقديس الأئمة ونسبة المعجزات لهم فيقول صاحب كتاب مسائل مجموعة من الحقائق العالية: "إن الأئمة لهم من الشرف وعلو المنزلة ما يقدرون به على أظهار المعجزات الخارقة للعادات، ويتشخصون للبشر كيف شاءوا بأي شخص أرادوا على ما يقتضيه الزمان..."[3]، ويقول أيضاً: " ولا يكون ظهور المعجزات منه وإبداء الآيات الباهرات إلا بعد أن ينص عليه والده"[4]. والأئمة مصدر العلم والحكمة[5]، ومن أدعى شيئاً من العلم فهو من علم الأئمة قد أخذه عنهم بواسطة أحد أوليائهم أو عبيدهم[6]، كما أن علم الأئمة متوارث بينهم[7] فيرووا عن الإمام جعفر الصادق قوله: " وليس يهلك منا هالك حتى يرى من أهله من يعلم مثل علمه"[8]، والحكمة تنتقل من إمام إلى إمام في آخر دقيقة من نفس

---

(1) سورة التوبة، الآية : 128
(2) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 201
(3) مؤلف مجهول، مسائل مجموعة، ص 120
(4) المصدر نفسه، ص 8
(5) الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 103
(6) ابن حيون، المجالس، ص 252، 253
(7) ابن حيون، افتتاح الدعوة، ص 281-282
(8) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 539، ابن حيون، المجالس، ص 244

الإمام الماضي، ولا تكون في إمامين متزامنين[1]. كما أن كلام الأئمة في جميع ما أشاروا به من رمز أو تصريح أو تعريض، هو حكمة بالغة وفيه أدب وفائدة[2].

كما قالت الإسماعيلية بعصمة الأئمة[3]، وهي ليست عصمة مطلقة وإنما العصمة كما بينها الداعي الإسماعيلي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي، هي عصمة فيما يتعلق بالإمامة، وأن الرسل والأئمة غير معصومين فيما يتعلق بأفعال البشر فيقول: "....إن الرسل والائمة على جميعهم أفضل السلام معصومون فيما يتعلق بالرسالة والإمامة من السهو والتحريف والغلط فأما ما يتعلق بأفعال البشر فإنهم غير معصومين، بل هم العاصمون انفسهم ديناً واختياراً... وعلى هذا التمثيل يجب على من رأى من افعال احد من أئمة الدين صلوات الله عليهم أجمعين ما يظن بتقصيره أنه خطيئة أو معصية، ألا يغير ذلك صحة يقينه ولا يشككه في دينه بل ينتظر إنابته، ويرتقب توبته فإن منزلة الرسل والائمة صلوات الله عليهم عند خالقهم عظيمة وجاهتهم لديه جسيمة[4]". ويقول أيضاً في نطاق الحديث عن هبوط آدم عليه السلام وزوجه من الجنة بعد أن أكلا من الشجرة: "وفي هذه الآيات دلالة على ان الخلافة والإمامة لا ينقضي حكمها ويقطع ما أمر الله به من صلة من أهله لهما ما يرتكب من المعصية لأن الله تعالى خلق آدم ليجعله خليفة في الأرض كما اخبر الله تعالى في قوله للملائكة: "إني جاعل في الأرض خليفة"[5] ثم شرفه بسكنى جنته فلما عصاه في الجنة أهبطه إلى الأرض التي خلقها لخلافته عليها، ولم تقدح المعصية فيما خلقه له لأن الاجماع أن توبة آدم عليه السلام كانت من الأرض وأنه هبط إليها وهو في حال المعصية، فتذكّر فيها ما كان

(1) ابن حيون، المجالس، ص 241-243

(2) الجوذري، سيرة الاستاذ، ص 36

(3) الغزالي، فضائح الباطنية، ص 142

(4) الشيرازي، المجالس المستنصرية، ص 155

(5) سورة البقرة، الآية 30.

رأى الملائكة صنعته عند وقوعهم في الخطيئة كما قال ا تعالى لهم: "وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون"[1] فعلموا بخطيئتهم فطافوا بالعرش مستغفرين ربهم فغفر لهم، ففعل آدم عليه السلام مثل ذلك فطاف مكان البيت العتيق..."[2].

إلا أنهم لا يرون مبدأ الرجعة كما تقول الإمامة الإثنا عشرية، فهم يرون بأن الأئمة يموتون مثل ما يموت غيرهم من البشر، ولا يقولون بالتناسخ والحلول[3].

أما عن عقيدة الإسماعيلية في علي بن أبي طالب وأولاده فهم يرون بأنه لكل نبي وصياً يوكل إليه الأمر بعد النبي، وأن علي بن أبي طالب هو وصي الرسول (ﷺ) والمقصود بالوصي هو أن الرسول (ﷺ) قد أوصى بالإمامة لعلي، وعلمه من العلوم اللطيفة والأسرار الشريفة ما يورثه الهيبة وعظمة النفس[4]، وأن ا سبحانه وتعالى قد فضله على جميع الأوصياء[5]. وقد إستدلوا على هذا بأحاديث للرسول (ﷺ) منها الحديث المشهور في المصادر باسم حديث غديرخم[6]، وذلك أن النبي (ﷺ) بعد عودته من حجة الوداع في السنة 10هـ/631م، نزل بهذا الغدير وآخى بينه وبين علي فقال: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار..[7]

---

(1) سورة البقرة، الآية 33.

(2) الشيرازي، المصدر نفسه، ص 155.

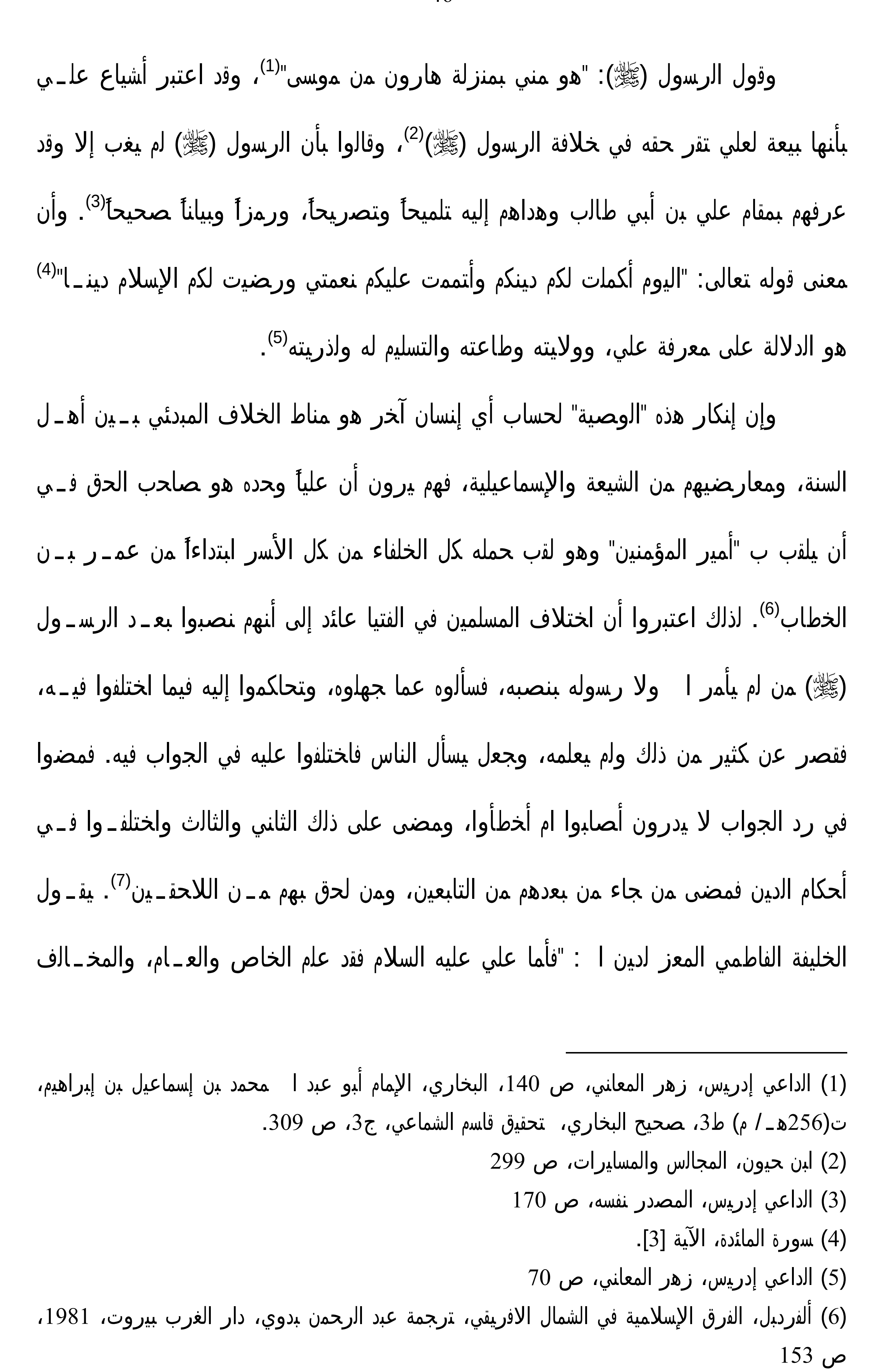
(3) الجوذري، سيرة الاستاذ، مقدمة التحقيق، ص 18-19

(4) السجستاني، الافتخار، ص 65-69

(5) الشيرازي، المصدر نفسه، ص 173

(6) غديرخم: موضع بين مكة والمدينة

(7) مسائل مجموعة، لمؤلف مجهول، ص 117، إبن حيون، المجالس والمسايرات ص (298-299)، الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 11، 151.



وقول الرسول (ﷺ): "هو مني بمنزلة هارون من موسى"[1]، وقد اعتبر أشياع علـي بأنها بيعة لعلي تقر حقه في خلافة الرسول (ﷺ)[2]، وقالوا بأن الرسول (ﷺ) لم يغب إلا وقد عرفهم بمقام علي بن أبي طالب وهداهم إليه تلميحاً وتصريحاً، ورمزاً وبياناً صحيحاً[3]. وأن معنى قوله تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينـا"[4] هو الدلالة على معرفة علي، وولايته وطاعته والتسليم له ولذريته[5].

وإن إنكار هذه "الوصية" لحساب أي إنسان آخر هو مناط الخلاف المبدئي بـين أهـل السنة، ومعارضيهم من الشيعة والإسماعيلية، فهم يرون أن علياً وحده هو صاحب الحق فـي أن يلقب ب "أمير المؤمنين" وهو لقب حمله كل الخلفاء من كل الأسر ابتداءاً من عمـر بـن الخطاب[6]. لذلك اعتبروا أن اختلاف المسلمين في الفتيا عائد إلى أنهم نصبوا بعـد الرسـول (ﷺ) من لم يأمر ا ولا رسوله بنصبه، فسألوه عما جهلوه، وتحاكموا إليه فيما اختلفوا فيـه، فقصر عن كثير من ذلك ولم يعلمه، وجعل يسأل الناس فاختلفوا عليه في الجواب فيه. فمضوا في رد الجواب لا يدرون أصابوا ام أخطأوا، ومضى على ذلك الثاني والثالث واختلفـوا فـي أحكام الدين فمضى من جاء من بعدهم من التابعين، ومن لحق بهم مـن اللاحقـين[7]. يقـول الخليفة الفاطمي المعز لدين ا : "فأما علي عليه السلام فقد علم الخاص والعـام، والمخـالف

---

(1) الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 140، البخاري، الإمام أبو عبد ا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، ت(256هـ/ م) ط3، صحيح البخاري، تحقيق قاسم الشماعي، ج3، ص 309.

(2) ابن حيون، المجالس والمسايرات، ص 299

(3) الداعي إدريس، المصدر نفسه، ص 170

(4) سورة المائدة، الآية [3].

(5) الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 70

(6) ألفردبل، الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب بيروت، 1981، ص 153

(7) إبن حيون، المجالس، ص (344-345)

والمؤالف أنه لم يجتمع الناس على أحد قبله بعد رسول ا (ﷺ) إجتماعهم على بيعته أما أبو بكر فقد نازعه الأنصار وغيرهم، ومات كثير من الصحابة وما بايعوه، وأما عمر فقد إجتمعوا فيه إلى أبي بكر فقالوا له: نناشدك ا أن لا تولي علينا رجلاً فظاً غليظاً، فقال أبو بكر: تخوفونني؟ إذا لقيت ا قلت له: إني وليت عليهم خير أهلك، وأما عثمان فما اجتمعوا على توليته، ولكنهم إجتمعوا على قتله، وأما علي عليه السلام فأجمعوا بإجماعهم عليه وأمتنع منهم، وأطبقوا عليه وما زالوا به حتى أجابهم"[1].

لهذا أظهرت الإسماعيلية العداء لكل من اعتقدوا بأنه غاصب لحق علي بن أبي طالب في خلافة الرسول (ﷺ)، وذلك ابتداءاً من أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب اللذين إعتبروهم أضداد علي ومغتصبين لحقه، واستدلوا بقول أبي بكر الصديق في خطبته الأولى للمسلمين بعد البيعة " "وليتكم ولست بخيركم"[2] وهذا يعني أن هناك من هو أحق بهذا الأمر منه. واعتبروا بأن اغتصاب الخلافة من علي هو الظلم الكبير[3]. وأن علي بن أبي طالب كان منشغلاً بجهاز الرسول (ﷺ) وغسله وأكفانه، بينما الخلاف قائم في سقيفة بني ساعدة على خلافة الرسول (ﷺ) وبأن كلاً من أبي بكر وعمر لم يهمهم نبيهم ولا غمتهم نقلته[4]. أما الخليفة الثالث وهو عثمان بن عفان فهم يعتقدوا بأنه فعل ما أوجب قتله، وذلك في إيوائه لطرداء الرسول (ﷺ)، وتحريف القرآن مع ادعائه ما ادعاه الأولون من الضلال والبهتان[5]. واستشهدوا بحديث طويل منسوب إلى الرسول (ﷺ) يؤيد حق علي في الأمر وينفيه عن غيره

---

(1) ابن حيون، المجالس والمسايرات، ص 168

(2) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، (ت 310هـ /922م)، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م، م2، ص 237-238، ص 155

(3) ابن حيون، المجالس ، ص 397

(4) الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 157

(5) المصدر نفسه، ص 172

وذلك أن النبي (ﷺ) قال لعلي: ""لا تجرد بعدي سيفاً فتعود الجاهلية على قدمها وقال له: يليها أبو بكر غصباً وظلماً، فإن قمت فحقك، وإن قعدت فالجنة، ويليها بعده عمر غصباً وظلماً فإن قمت بفئة تنصرك فحقك وإن قعدت فالجنة، ويليها بعده عثمان فإن قمت فحقـك وإن قعـدت فالنار" ويعلّق الداعي الشيرازي على هذا الحديث بقوله: "يعني إن وجدت فئة تنصرك بها في أوان الأولين فالحق لك، فإن لم تجد ذلك فقعودك جنة على الموالف والمخالف، فللموالف جنة بتأليف القرآن وتلاوته وإظهار سره، ومكنونه وهو الجنة الكاملة والنعمة الشاملة، وأما جنـة المخالف فقعوده من إقامة علي شريعة الرسول، وتطميناً له أن لا يعود إلى الجاهلية الأولـى فيبطل حكم الإسلام ويزول. أما قوله في عثمان وإن قعدت فالنار فذلك لعلم الرسول (ﷺ) أن الثالث يأتي يغير ما أتى به الأولان من إقامة ظاهر الإسلام وتمكّنه الفرصة فيبدل السنة ويغير الشرائع والأحكام، وذلك لإعادة الطرداء وإحراقه للقرآن وأفعاله التي إستحق بها القتل"[1].

ويبرر قعود علي عن المطالبة بحقه بقوله: "ولم يقعد عن عجز ولا ذل ولا غاـب ولا هضم ولا جهل ولا اعتراف بأنهم لذلك بأهل فيكون قعوده بذلك لهم إقراراً، ولا التقـديم لهـم بفضل إستحقوه، ولا كان لهم به إئتمارا، بل قعوده لإقامة الإسلام وتمام الأحكام، والإعـراض عن الدنيا وما فيها من الحطام، وقعوده هو القيام الكلي الذي لا يعرفه إلا أهل المعرفة، وهـل يطلب رتبةً أعلى من رتبته أو منزلةً فوق منزلته... فلم يكن إمساكه عن طلب حقه في أيـام الظلمة ولما جلسوا محله، وأدعوا ما ليسوا بأهله من منزلة الإمامة إلا أن لا تبطل الـشريعة بزوالهم عن الدين لقرب عهدهم بالشرك، ولما في قلوبهم من الشك"[2].

---

(1) الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 169

(2) الداعي إدريس، زهر المعاني، ص (169، 170، 172)

كما نزعوا الشرعية عن الخلافة الأموية، والخلافة العباسية من بعدها فأظهروا العداوة لبني أمية واعتبروهم أعداء الله، وأعداء أوليائه وذلك لأنهم غصبوا حق علي بالخلافة[1]. وقالوا بأنهم الشجرة الملعونة المذكورة في القرآن[2] في قوله تعالى: "والشجرة الملعونة في القرآن"[3] كما شهروا ببني أمية في الأندلس وارتكابهم للمعاصي، كالزنا، وشرب الخمر[4].

أما الخلافة العباسية فقد أنكروا الأساس الذي استند إليه العباسيون في انتسابهم للعباس بن عبد المطلب عم الرسول (ﷺ) فقالوا: "فمتى كان العباس بن عبد المطلب عليه السلام خليفة حتى يكون أولاده خلفاء، وإن صلح أن يكون أحد خليفة، صلح أن يكون من إستخلاف النبي (ﷺ) علي عليه السلام وأنزله منزلة هارون من موسى بقوله : "علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي"... ولم تعتقد فرقة من فرق الإسلام أن العباس خليفة أصلاً"[5].

وينقل الداعي إدريس رسالة كتبها الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله إبن المهدي وذلك رداً على مؤنس الخادم أحد كبار قواد العباسيين عندما بعث له رسالة يتهدده ويتوعده ويدعوه فيها إلى طاعة بني العباس، وذلك أثناء غزو القائم لمصر، يقول القائم: "فأما الخلافة فما جعل الله عز وجل للعباس بن عبد المطلب فيها حظاً وهو ليس منها في شيء لأنه ليس من المهاجرين، ولا من العشرة الذين توفي رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راض، ولا أدخل في الشورى، ولا التمسها لنفسه في وقت من الأوقات وإنما خص بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وامتحن بها من بعد رسول الله (ﷺ) رفعاً لدرجته في جنات النعيم، فصبر على مضض الأمور إبتغاء لما يبقى في الدار التي لا تبيد ولا تفنى، فصارت لولده من بعده فكانوا أحق بها

---

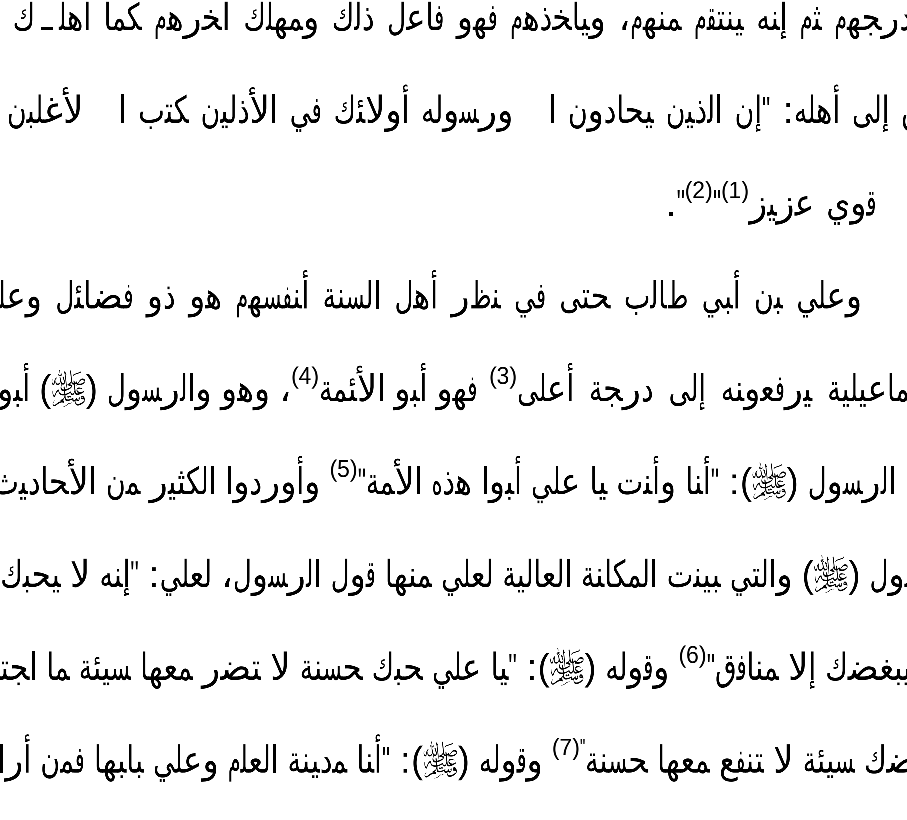
(1) الجوذري، سيرة الاستاذ، ص 64

(2) ابن حيون، المجالس والمسايرات، ص 106، الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 206 - 207

(3) سورة الاسراء، الآية : 60

(4) ابن حيون، المجالس والمسايرات، ص 184

(5) الشيرازي، مذكرات داعي الدعاة، ص 195-196



وأهلها من مغتصبيهم بنو أمية الكفرة الفجرة الشجرة الخبيثة الملعونة في القـرآن، ثـم بنـو العباس رضوان ا على العباس من بعدهم فأطفأوا نور ا ، وبدلوا الحق بالباطل وكانوا مثل الملوك الذين عتوا في الأرض من قديم الدهر، وجعلوا الملك بينهم ميراثاً فأملى لهم ا المـدة ليستدرجهم ثم إنه ينتقم منهم، ويأخذهم فهو فاعل ذلك ومهلك آخرهم كما أهلـك أولهـم وراد الحق إلى أهله: "إن الذين يحادون ا ورسوله أولائك في الأذلين كتب ا لأغلبن أنا ورسـلي إن ا قوي عزيز[(1)]"[(2)].

وعلي بن أبي طالب حتى في نظر أهل السنة أنفسهم هو ذو فضائل وعلـوم ولكـن الإسماعيلية يرفعونه إلى درجة أعلى[(3)] فهو أبو الأئمة[(4)]، وهو والرسول (ﷺ) أبوا هذه الأمـة لقول الرسول (ﷺ): "أنا وأنت يا علي أبوا هذه الأمة"[(5)] وأوردوا الكثير من الأحاديث المنـسوبة للرسول (ﷺ) والتي بينت المكانة العالية لعلي منها قول الرسول، لعلي: "إنه لا يحبك إلا مـؤمن ولا يبغضك إلا منافق"[(6)] وقوله (ﷺ): "يا علي حبك حسنة لا تضر معها سيئة ما اجتنبت الكبائر، وبغضك سيئة لا تنفع معها حسنة"[(7)] وقوله (ﷺ): "أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت

---

(1) سورة المجادلة، الآية 20-21

(2) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص (206-207)

(3) ألفرد بل، الفرق الإسلامية، ص 153

(4) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 524

(5) الشيرازي، المجالس المستنصرية، ص 118

(6) المصدر نفسه، ص 101

(7) المصدر نفسه، ص 113-114

المدينة من بابها"[1] وهو المشار إليه بالنبأ العظيم المخصوص[2] بقوله تعالى: "وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم"[3].

ولعل المشاركة الكبرى التي جعلوها بين الرسول (ﷺ) وعلي هي عقيدتهم في التأويـل الباطن، وهو العلم الذي خصوا به أنفسهم وسموا من أجله بالباطنية[4].

ومعنى التأويل كما جاء على لسان أشهر دعاة الإسماعيلية المؤيد فـي الـدين هبـة ا الشيرازي هو: "إن للقرآن معاني سوى ما تتداوله العامة مما يستنبطونه بحولهم وقوتهم من دون الرجوع فيه إلى أهل الاستنباط[5]" ثم يقول: "فعلم التأويل معناه علم العاقبة، وما يفضي الأمر إليه في النهاية، والتأويل تفعيل من آل يؤول وهو الذي يستجار به في الشدة، ويفزع إليه عند عارض النائبة... وتأويل القرآن كذلك هو ما يرجع إليه عند عارض الشبهة والحيرة، فـاللفظ يقتـضي التأويل والعقل يقتضيه"[6].

ويقول الداعي السجستاني في التأويل: "إن أكثر ما في القرآن مـن الأسـماء المعلومـة المعروفة الواقعة على الجسمانيات فإنما وجه تأويلهـا إرادة الـصورة الروحانيـة... وجميـع الأصناف المذكورة خاصة إذا إشتبهت معرفتها من الجسمانيات واستحال دركها وفطنتهـا، وإذا اشتبه قول من أقاويل ا تعالى ذكره ولم نجد له مخرجاً من ظاهره صرفناه إلى حقيقته المقرونة

(1) الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 159

(2) المصدر نفسه، ص 11

(3) سورة الزخرف، الآية 4

(4) الغزالي، فضائح الباطنية، ص 11؛ محمد كامل حسين، في أدب مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، (د.ت)، ص 25

(5) الشيرازي، مذكرات داعي الدعاة، ص 35

(6) المصدر نفسه، ص 35

بالصور العلمية... وما تيسر مخرجه من ظاهره تركناه على وجهه، ولم نطلب له تأويلاً علميـاً وبحثنا عن حكمة ظاهره فلاح لنا وجه الحكمة في ظاهره وقصد التأويل في باطنه"[1].

وقد استدل الإسماعيليون ببعض آيات القرآن الكريم على عقيدتهم في وجـوب التأويـل كقوله تعالى: "هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جـاءت رسـل ربنا بالحق[2]" وقوله تعالى : "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومـا يعلـم تأويله إلا ا والراسخون في العلم يقولون آمنا به[3]" .

وقوله أيضاً: "ونعلمه من تأويل الأحاديث"[4] وقول الرسول (ﷺ): "أنا صاحب التنزيـل وعلي صاحب التأويل"[5] وجعلوا تفسير ذلك أن ا تعالى جعل لدينه تأويلاً خاصاً يختلف عمـا يقول به جمهور أهل السنة والجماعة الذين أطلق الإسماعيليون عليهم لقـب أهـل الظـاهر أو العامة[6].

لذلك انكروا الاخذ بالظاهر دون الباطن، فيقول المؤيد في الدين في أشعاره[7].

إن كـان إعجاز القرآن	لفظاً ولـم ينل مـعناه فيه حظـاً
صـادفتم مـعقوده محـلولا	من أجل أن أنكرتم تأويـ ـ ـ ـ ـلا

---

(1) السجستاني، الافتخار، ص 98-99

(2) سورة البقرة، الآية [43].

(3) سورة آل عمران، الآية [7].

(4) سورة يوسف، الآية [6].

(5) الشيرازي، مذكرات داعي الدعاة، ص 35

(6) محمد كامل حسين، في أدب مصر، ص 25

(7) الشيرازي، ديوان المؤيد، القصيدة الأولى، ص 195

وقالوا إن الظاهر والباطن كالروح والجسد، إذا اجتمعا إنقدحت الفوائد وعرفت المقاصد[1] ومن عبد ا تعالى بظاهر دون باطن، أو بباطن دون ظاهر فهو كمن يعبده على حرف وقد اختلاف أهل التفسير من العامة في تفسير قوله : "ومن الناس من يعبد ا على حرف" فقالوا يعبده على شك وغير ذلك من الأقاويل المشتملة على الإفك[2].

ويقول الداعي السجستاني موجهاً الخطاب إلى أهل السنة: "وأراكم يا أهل الظاهر تكذبون التأويل وتقتصرون على التنزيل بحكم ا فقال جل من قائل "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويله كذلك كذّب الذين من قبلهم"[3] واكتفيتم من علم القرآن بما عرفته العرب من الأسماء والصفات، ولم تعلموا أن الأسامي ربما صرفت إلى غير ما تعرفه العرب إذا حققتها المعاني"[4].

والأمثلة على التأويل عندهم كثيرة لا تكاد تخلو منها كتبهم، حتى أنهم ألفوا كتباً في التأويل فالداعي الإسماعيلي أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي له تصنيفات وتأليفات عدة في باطن العلم والتأويل المأخوذ عن الأئمة[5]، ومن تأويلاتهم في قوله تعالى، "إهدنا الصراط المستقيم"[6] يقول الداعي إدريس بعد أن يورد أقوال بعض المفسرين من أهل الظاهر: "إن الصراط طريق ينصب على النار يوم القيامة يمشي عليه الناس إلى الجنة فمنهم من يمشي عليه فيصل إلى الجنة، ومنهم من يسقط في قعر النار، وقولنا في الصراط هي ولاية الائمة الطاهرين الذين أخبر ا تعالى أن هذا الصراط المستقيم صراطهم وهذا لا يتناقض مع تفسير أهل الظاهر، إن الصراط ما

(1) الشيرازي، المجالس المستنصرية، ص 17
(2) الشيرازي، المجالس المستنصرية، ص 21 -22
(3) سورة يونس، الآية [39].
(4) السجستاني، الإفتخار، ص 99.
(5) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 260-261.
(6) سورة الفاتحة، الآية [6].

ينصب يوم القيامة على متن النار لأن إتباع الأئمة في الدنيا هو الطريق المستقيم المؤدي إلى النجاة في الآخرة والى المشي سوياً على الصراط الممدود على متن النار... والذي يسقط إلى النار عن يمينه هو الغالي في الأئمة المنتخبين لأنه كان قبل الغلو من أصحاب اليمين، والذي يسقط عن شماله هو المقصر في حقوقهم[1]." ثم يقول: "فاعلموا أن كل ما ورد ذكره مما في القيامة من الصراط والميزان والحساب، والجنة وأنهارها وأفنان ثمارها، والنار وشرارها وما ورد في المذهب الطاهر الشريف من أمثال ذلك الموجودة في الدنيا فالموجود في الدنيا هو ظاهره، والموعود به في الآخرة هو باطنه....لأن الظاهر هو المرئي والباطن هو الخفي وأنتم معشر المؤمنين مأمورون بتصديق الظاهر والباطن جميعاً"[2].

ولما كان الدين عندهم ظاهراً وباطناً فقد قالوا بأن النبي (ﷺ) قام بتبليغ الظاهر وصرف إلى وصيه علي نصف الدين وهو الباطن[3]. فكانت دعوة الرسول (ﷺ) إلى التنزيل والشريعة، أما دعوة علي فكانت إلى التأويل والحقيقة، ولذلك لزم أن تكون الأئمة من عقبهما ونسلهما[4]. أي أن القرآن الكريم قد نزل على محمد (ﷺ) بلفظه ومعناه الظاهر للناس، أما أسرار الدين وأسرار التأويل والباطن فقد أنزلت على محمد (ﷺ) ولكنه خص بها علياً وأبناءه من بعده دون غيرهم من البشر، وأن علياً وأبناءه من الأئمة هم الذين يدلون الناس على هذه الأسرار[5]. فقالوا أن معنى القرآن معجزة لأهل بيت رسول ا (ﷺ) لا يملك مفاتيح أقفاله غيرهم[6]. "وعلي هو قرين القرآن والقرآن قرينه، وإنما يسمى الكتاب قرآناً لاقترانه بالعترة، وقد بين ذلك قول الرسول

---

(1) الشيرازي، المجالس المستنصرية، ص 46.

(2) المصدر نفسه، ص 47

(3) مسائل مجموعة، ص 30

(4) السجستاني، الافتخار، ص 71

(5) محمد كامل حسين، في أدب مصر، ص 25

(6) الشيرازي، مذكرات داعي الدعاة، ص 50

(ﷺ): "إني تارك فيكم الثقلين كتاب وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقـا حتـى يـردا علـي الحوض" فالقرآن قرين كل واحد من الأئمة من ذريـة الرسـول (ﷺ) يـدعون إلـى أحكامـه ويجاهدون على إظهاره ويبينون للناس حلاله من حرامه[1].

وتأكيداً على نفس المعنى يقول السجستاني: "ولما علم المصطفى (ﷺ) بتأييـد ا عـز وجل إياه إن الوصي لا يبقى بعده المدة التي تمكنه تبليغ التأويل إلى من ينشأ بعده في دوره مـن أهل البصيرة والتمييز، وعلم أن ظلمة الجهل تعلو على النفوس وتعمها أقام بعده الأئمة الهـادين كل واحد منهم في عصره، وزمانه ليبلغ كل واحد منهم التأويل إلـى مـن يرغـب فيـه مـن المرتادين"[2].

وقالوا : "إن الركوع في الصلاة مثل علي والسجود مثل النبي (ﷺ) ولذلك كان الركـوع مرة، والسجود مرتين لأن النبي (ﷺ) له حدان إذ يقتبس منه التنزيل والتأويل، والوصي له حـد واحد وهو التأويل، كما ميز الركوع في قوله: "وأركعوا مع الراكعين"[3] لعلمـه تعـالى بكثـرة منازعي الوصي على مرتبته، ومرافعته عن منزلته ليكون ذلك تأكيداً لحجة ا على بريته فـي ظاهر الأمر وباطنه..."[4].

أما عن انتقال الإمامة من الحسن إلى أخيه الحسين، وأن الإمامة عندهم لا تكون إلا فـي الأعقاب، فقد سوغ الإسماعيلية هذا الانتقال من الأخ إلى أخيه بما عرف بالإمام المستقر، والإمام المستودع فقالوا أن الحسن هو إمام مستودع لسر الإمامة ولذلك إنقطعت عن عقبه ولم تجر فـي

---

(1) الشيرازي، المجالس المستنصرية، ص 22

(2) السجستاني، الافتخار، ص 119-120

(3) سورة البقرة، الآية [43].

(4) الشيرازي، المجالس المستنصرية، ص 167

نسبه، أما الحسين فهو المستقر لها فلذلك جرت في عقبه واتصلت في نسبه[1]. وقالوا أن الأئمـة المستودعين هم الذين إستحقوا فضل الإمامة من غير العقب الطبيعي وهم معترفين بفضل أهـل الإمامة وبشرفهم مقرين[2]، اما الأئمة المستقرون فهم الأئمة واحداً بعد واحد ومولوداً عن والـد إلى إنقضاء الدنيا، لا انقطاع لذلك أبد الدهر بينما المستودعين فيكونون من الذرية ومـن غيـر الذرية على قدر ما توجبه الأزمنة وتقتضيه سياسة صاحب وقـت كـل مـستودع[3]. وأن ولادة الإمام المستقر لا تكون أبداً إلا من المستقر منذ أن خلق الله الخلق إلى إنتهائه[4].

أما عن العقيدة الإسماعيلية في التوحيد فقد قالوا بأن الله تعالى هو الواحد الأحد لا يتكاثر ولا يتزايد ولا يتناسب[5] ونفوا الإشراك له والقرناء ونزهوه عن الآباء والأبناء[6] وهـذا يعنـي تنزيه الله تعالى عن جميع ما يوصف به خلقه من الصفات والنعوت التـي هـي مـن صـفات الخلائق[7]. وفي هذا يقول الداعي الشيرازي.

فسقطـوا عـن منهج الحقائق	وشبـهوا الـخالق بالـخلائق
فالخـلق جسـمي وروحـاني	ذلـكـم بـاد وذا خـفـي
فقـائـل قـال: تـراه الـعين	وهـو لـعمري وصمة وشين
مـن أجـل أن رؤيـة الأبصار	مختصة بالجسم ذي الأقطـار
وقـائل قـد قـال لمـا دققـا	جـداً وفـي افكـاره تعمقـا

(1) علي بن محمد بن الوليد، تحفة المرتاد وغصة الأضداد، ص 168

(2) الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 182-183

(3) مسائل مجموعة، ص 115

(4) المصدر نفسه، ص 49

(5) السجستاني، الافتخار ص 26

(6) الشيرازي، المجالس المستنصرية، ص 15

(7) الشيرازي، ديوان المؤيد، مقدمة المحقق، ص 89

مـا ذاك إلا قـول ذي تضليل نـراه، لـكن رؤيـة العقول

أمعن حتى مـا أتـى بشـيء ولم يبـن رشـداً مـن غـي

فالعقـل للـمرء أداة كـالبصر ذا بـاطن فيـه، وهذا قد ظهر.

فـإن جعـلت نحـوه سبيـلاً للعقل لـم تتجـاوز الـتمثيلا

كلاهمـا يـدرك بالـمجانسة مقالـة صحـت بـلا ممارسة

وليس من جـنس العـقول ا يا قـوم كـي تدركـه حـاشاه

كمـا تعـالى أن يكون كالصور مجسـماً كـيما يـلاقيه البصر

فالفرقتان إجتـمعتا مشـبهـةٌ خباطة عشواء جهـل وعمى

ما جاوزت حد صفات البـشر ونـعت أرواحـهم والـصـور

ذلك تشبيه فمـا التوحيـد؟ وذاك تـجسيـد فمـا التجريـد[1].

ونلاحظ من خلال هذه الأبيات جلياً، أنهم نزهوا ا تعالى عن النعوت والتجسيم والتشبيه كما أن الأبصار لا تدركه والعقول أيضاً التي هي من خصائص البشر ولكن العقل باطن والبصر ظاهر.

ويقول إخوان الصفا في توحيد ا : "إعلم أيها الأخ أيدك ا وإيانا بروح منه أن العالم كله ومـا فيه داخل في أمر ا سبحانه وتعالى، غير خارج عنه ولا هارب منه، وأنه في قبـضته وتحـت إرادته، أوله وأعلاه، وأقربه من باريه العقل، وهو مثل الحجاب الأعظم، والباب الأكبـر، الـذي منه الوصول إلى توحيد ا ... وله في العالم السفلي مثل، إذا كان كل شيء ممـا دون البـارئ

(1) الشيرازي، ديوان المؤيد، القصيدة الثانية، ص 201

سبحانه وتعالى زوجين إثنين ليكون هو الواحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، وهـو وجـه العالم السفلي ومدبره، والقاضي بينهم فيما هم فيه مختلفون[1].

كما بين الشهرستاني عقيدتهم في التوحيد فيقول: "فقالوا في الباري تعالى: إنا لا نقـول: هو موجود، ولا لا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وكذلك في جميع الصفات، فإن الإثبات الحقيقي يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلقنا عليه، وذلك تشبيه، فلم يكن الحكم بالإثبات المطلق والنفي المطلق، بل هو إله المتقابلين وخالق المتخاصمين، والحاكم بين المتضادين، ونقلوا في هذا نصاً عن محمد بن علي الباقر أنه قال: "لما وهب العلـم للعالمين قيل هو عالم، ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر، فهو قادر بمعنى أنه وهب العلـم والقدرة، لا بمعنى أنه قام بالعلم والقدرة أو وصف بالعلم والقدرة. فقيل فيهم إنهم نفـاة الـصفات الحقيقية معطلة الذات عن جميع الصفات. قالوا: وكذلك نقول في القدم: إنه ليس بقديم ولا محدث، بل القديم أمره وكلمته، والمحدث خلقه وفطرته.[2]

ونجد فكرة التوحيد ونفي الصفات عن ا على لسان الخلفاء الفاطميين فيقـول الخليفـة المنصور ابن القائم: "وا ما نقم الناس منا إلا أنا وحدنا ا عز وجل حق توحيده ونفينـا عنـه سبحانه ما لا يليق به"[3].

أهداف الفكر الفاطمـــي:

---

(1) إخوان الصفا، جامعة الجامعة، تحقيق عارف تامر، دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الثانية، 1970، ص 79

(2) الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 193

(3) إبن حيون، المجالس والمسايرات، ص 97

يمكن تقسيم أهداف الفكر الفاطمي إلى قسمين، القسم الأول هـو الأهـداف الـسياسية، والقسم الثاني هو الأهداف الدينية.

وتتمثل الأهداف السياسية عند الفاطميين في مد نفوذهم السياسي وتوسيعه حتى يصل إلى مصر والعراق والحجاز وبلاد الشام، فكان اهتمام الخلفاء الفاطميين متوجه دائماً إلى المـشرق، واعتبروا ف تحقيق المغرب مجرد مرحلة على الدرب الطويل الذي سيقودهم إلى مصر والـشام في قلب المملكة العباسية[1].

لهذا نجد تطلع الفاطميين في المغرب منذ وقت مبكر إلى المشرق، وهذا ما يظهـر مـن أقوال الخلفاء الفاطميين، فيورد لنا إبن حيون قصة عن المهدي أول الخلفاء الفاطميين في المغرب تظهر تطلعه إلى غزو مصر، فيروي ابن حيون بأن المهدي قد أمر إبنه القائم بغزو مصر فقال له القائم: لما تغم نفسك وتشغل صدرك وقد أعطاك ا من الدنيا ما فيه سعة وكفاية. يقول: فقـبض كفه اليسرى وقال: "نعم هذا المغرب في قبضتي هذه، وبسط اليمين ولكن كفي من المشرق صفر إن ثقل عليكم ما أمرتك به خرجت له بنفسي"[2].

فكانت مصر هي الخطوة الأولى لتحقيق أمنيتهم الكبرى وحلمهم الجميل وهو تكوين دولة إسماعيلية فاطمية تترأس العالم الإسلامي[3]، وتحل محل الدولة العباسية. وربما موقـع مـصر الجغرافي المتوسط، سيكون عاملاً مساعداً للفاطميين في أن يتوسطوا قلـب العـالم الإسـلامي،

---

(1) فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية، ص 206-207

(2) ابن حيون، المجالس والمسايرات، ص 230.

(3) التواتي بو بكر، المرحلة الافريقية من خلافة المعز لدين ا الفاطمي، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، (د.ت)، ص 127.

وبالتالي نشر النفوذ الإسماعيلي في مناطق أخرى من العالم الإسلامي بما في ذلك بغداد عاصمة الخلافة العباسية[1].

وقد إعتبر الفاطميون ف تحقيق المشرق وعداً من ا سبحانه وتعالى لهم فكانت صـيغة الدعاء الفاطمي على المنابر في رقادة والقيروان بعد دخول المهدي: "واف تحقيق لـه مـشارق الأرض ومغاربها كما وعدته"[2]. وكان الخليفة الفاطمي المعز لدين ا يتطلع دائماً إلـى قـرب وعد ا في افتتاح المشرق[3] ولهذا كانت محاولات الفاطميين العديدة لاف تحقيق مـصر والتـي تكللت بالنجاح في سنة 358هـ/968م على يد القائد الفاطمي جوهر الصقلي.

ولم يكتف الفاطميون بذلك بل توجهت أنظارهم إلى بلاد الشام وبغداد حاضرة الخلافـة العباسية، وهذا ما نجده في كتاب المعز الفاطمي إلى خادمة جوذر وقد بعث معه خمسة دنانير من السكة المضروبة بمصر باسمه ويقول في رسالته: "وأرجو أن يمد ا في عمره (جوذر) حتـى يحج معنا، ونعطيه مما يضرب لنا ببغداد وقد أكمل ا لنا الآمال"[4]. وفي هذا دلالـة واضـحة وصريحة على رغبة الفاطميين في إقامة دولة إسلامية تحل محل الدولة العباسـية، كمـا فعـل العباسيون مع الأمويين، وقد إستطاع الفاطميون أن يهددوا الخلافة العباسية فـي عقـر دارهـا ونجحوا في إقامة الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر وذلك في سنة 450 هـ/1058م على يد القائد التركي أبو الحارث أرسلان البساسيري[5]. ويقول الداعي الشيرازي في ثورة البساسيري: "فكان قدوم البساسيري عليهم كنزول الرحمة من السماء فـشدوا حيـازيمهم معـه لإقامـة الـدعوة المستنصرية على المنابر وقصدوا دار العباسي برقبته ونقله من عزة المجالس إلى ذل المحـابس

---

(1) المرجع نفسه، ص 127.

(2) ابن حيون، رسالة افتتاح الدعوة، ص 249-250؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 171.

(3) ابن حيون، المجالس والمسايرات، ص 128-129

(4) الجوذري، سيرة الأستاذ، ص 111؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 707

(5) الشيرازي، مذكرات داعي الدعاة، ص 221-222

"[1] كما أقيمت الدعوة للخليفة الفاطمي على منابر الكوفة وواسط، واعتبر ذلك فتحاً جديداً للدولة النبوية كما كانوا يسمونها[2] فقيل في ف تحقيق الكوفة: "وما تطلع شمس بيوم جديد إلا ويقـضي ا سبحانه فيه للدولة النبوية أدامها ا وله الحمد بف تحقيق مجدد..[3]" كما وصلت الأخبار بف تحقيق واسط فقيل "... وأن بد لهم ا تعالى عن دولة الجور دولة العدل وآوى بهم إلـى حـرم الفضل، وجعلهم في مملكة إبن بنـت رسـول ا (ﷺ) فألبـسهم ا بهـذه الأكرومـة أفخـر اللباس..."[4].

كما أقيمت الدعوة للفاطميين في الأهواز على يد الداعي المؤيـد فـي الـدين داعـي الدعاة[5]، وحاول الفاطميون أيضاً السيطرة على بلاد الشام وذلـك سـنة 359هـ/970م ولكـن سيطرتهم لم تستمر أمام هجوم القرامطة[6].

أما عن الأهداف الدينية، فقد كان هدفهم الأول هو إثبات أحقيتهم بالخلافـة الإسـلامية، وبأنهم هم الخلفاء الشرعيون، وأن كل من ادعى الإمامة من غيرهم فهو مغتصب لها، كالعباسيين والأمويين في الأندلس الذين ادعوا الخلافة وكانوا معاصرين للدولة الفاطمية، لذلك كانت عقيدتهم مرتكزة على الإيمان بحتمية عودة عرش الإسلام إلى آل الرسول (ﷺ)، أي إلى ذريـة فاطمـة رضي ا عنها[7].

---

(1) الشيرازي، المصدر نفسه، ص 222

(2) الشيرازي، المصدر نفسه، ص 173-175

(3) الشيرزي، المصدر نفسه، ص 173.

(4) الشيرازي، مذكرات داعي الدعاة، ص 222.

(5) الشيرازي، مذكرات داعي الدعاة، ص (79).

(6) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 190-197.

(7) فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية، ص 331.

لهذا نجدهم دائماً يؤكدوا على صحة نسبهم من الرسول (ﷺ) فكـان الخليفـة الفـاطمي الحاكم بأمر ا يذكر نسبه في كل جمعة على المنبر ويقول : "نحن أفضل من خلفاء بني العبـاس لأننا من ولد فاطمة بنت رسول ا (ﷺ)"[1] لذلك فهم المستحقون لشرف الخلافـة دون غيـرهم فيقول الخليفة الفاطمي المنصور با في إحدى خطبه: "اللهم إني عبدك ووليك، أنعمـت علـي فأعظمت، وأفضلت فأجزلت، ورفعتني فكرمت بما أفضت إلى من خلافة الآباء المكرمين الأئمة المهديين، ونصبتني علماً للدين، وأقمتني إماماً للمؤمنين"[2] ويقول في خطبة أخرى: "اللهم وكمـا قلدتني خلافتك التي كرمتها وشرفتها، وحظرتها وحرمتها، ولعنت مـن غيـر أهلهـا مـدعيها وأخزيت مناوئيها، وقصرت أيدي المتطاولين إليها، واخترت لها الواحد بعد الواحد مـن أبـائي المهديين، ثم أورثتني مقامهم، وأحييت بي ذكرهم، ونصبتني لما نصبتهم من الاحتجـاج علـى خلقك، والقيام بأمرك ونصرة دينك وإعزاز ملة رسولك" [3]، وهذا ما سعت الدولة الفاطمية إلـى نشره بين عامة المسلمين من خلال مجموعة من الوسائل والأساليب سآتي على شرحها في القسم التالي.

أما الهدف الثاني وهو من الأهداف الدينية أيضاً فهو محاولة الفاطميين نـشر عقيـدتهم وعلومهم الدينية، فكما هو معروف إن العقيدة الإسماعيلية لم تكن مقبولة لدى المسلمين بـصورة عامة، ومن ثم فقد حدث صراع طويل بينها وبين العقيدة السنية التي يعتنقها أكثرية السكان فـي مصر وبلاد الشام والحجاز، وإن السنة بقيت تمارس في هذه البلدان رغم وجود الحكم الفـاطمي

---

(1) ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ص 108..
(2) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 420.
(3) المصدر نفسه، ص 431.

فيها بل كان هناك ردة فعل قوية ضد الطقوس الشيعية، ومع ذلك فقد عمل الفاطميون بجـد مـن أجل تثبيت دعائم الفقه الفاطمي[1].

وقد عمل الفاطميون منذ البداية من أجل نشر عقيدتهم الدينية، وكسب أكبـر عـدد مـن الأتباع المؤيدين لها، فيقول الداعي إدريس: "واستقر الأمر للمهدي وتوطد الملك فنشر علم آبائـه الطاهرين، وأقام الدعاة والمعلمين، وف تحقيق أبواب منحه للطالبين"[2].

ومن خلال ما تقدم يمكن أن نستدل على أن الدولة الفاطمية قد إهتمت أولاً بتوطيد أركان سلطتها الزمنية، ومن ثم إلتفتت إلى نشر سلطتها الدينية أو الروحية الهادفة إلى حمل الناس على إعتناق مذهبهم وجعل المذهب الفاطمي سائداً في كافة أنحاء الديار المصرية وغيرها من الـبلاد التي كانت تحت حكمها[3] وإحلال مذهبهم محل مذهب أهل السنة المعادي لهم[4].

وفي رأيي الشخصي أنه ربما تداخلات الأهداف السياسية مع الأهداف الدينية للفاطميين، فكانت الأهداف الدينية لهم هي السبب الرئيسي في توسيع نفوذهم السياسي وذلك من خلال بـث دعاتهم في كافة الأرجاء، وكسب أكبر عدد من الاتباع لهذه الدولة، وبالتالي تسهيل مـد نفـوذهم السياسي لهذه البلاد من خلال هؤلاء الاتباع، وهذا ما حدث عند ف تحقيق الفاطميين للمغـرب، فقد سبقت الدعوة الدينية بكثير ف تحقيق الفاطميين للمغرب وبالتالي سهلت لإقامة دولتهم في هذه الربوع، وإقامة سلطتهم الزمنية فيها.

---

(1) Fatimid, M. Canard, Encyclopedia of Islam, Volume II p.854-862 (New Edition), 1965 ترجمة خاشع المعاضيدي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 13، 1970، مطبعة المعارف، بغداد ص 256-274

(2) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 211

(3) حسن ابراهيم، الدولة الفاطمية، ص 202

(4) الفرد يل، الفرق الإسلامية، ص 157

ومن الناحية الأخرى نجد الأهداف السياسية خدمت أهدافهم الدينية فاستطاعوا من خلال سلطتهم السياسية أن ينشروا مذهبهم الديني، من خلال فرض بعض المظاهر الدينية لعقيدتهم في البلاد الخاضعة لهم سياسياً كما حدث في مصر فقد استطاعت الدولة الفاطمية أن تنشر عقيـدتها وتفرض بعض مظاهرها كالاحتفال بالأعياد الشيعية وما يتعلق بالأذان والصوم والصلاة، ولكـن دون أن تفرضها على الناس الذين بقوا متمسكين بعقيدة السنة.

وعلى أي حال فإن الدعوة الإسماعيلية هي التي غذّت الدولة الفاطمية بالمبـادئ التـي كانت تمد في حياتها وتمنحها الحيوية والقوة والنفوذ[1]، لهذا كـان مـن الـضروري أن تـسير الأهداف السياسية جنباً إلى جنب مع الأهداف الدينية لضمان استمرار بقاء هذه الدولـة، وثباتهـا وقوتها.

وسائل نشر الدعـــــوة:

رأى الفاطميون أن بقاء دولتهم واستمرارها يتوقفان على انتشار مذهبهم، لـذلك عمـل الفاطميون بأقصى طاقاتهم من اجل نشر هذا المذهب واتخذوا لهذا الهدف العديد مـن الوسـائل الكفيلة بتحقيقه.

وأولى هذه الوسائل هو الدعوة الإسماعيلية فقد إبتدع الفاطميون دعوة منظمة قسموها منذ نشأتهم إلى سبع درجات ثم أصبحت فيما بعد تسعاً وقد أورد المقريزي لنا هذه المراتب في كتابه الخطط، وسأحاول أن أشرح هذه المراتب بشيء من الإيجاز، ففي المرتبة الأولى يقوم الـداعي بسؤال من يدعوه عن تأويل الآيات، ومعاني الأمور الشرعية وشيء من الطبيعيات، ومن الأمور الغامضة فإذا كان المدعو عارفاً سلم له الداعي، وإلا تركه يعمل فكره فيما ألقاه عليه من الأسئلة،

---

(1) التواتي بو بكر، المرحلة الإفريقية من خلافة المعز لدين ا ، ص 228

وقال له: يا هذا إن الدين لمكتوم، وإن الأكثر له منكرون وبه جاهلون، ولو علمت هذه الإمامة ما خص الله به الأئمة من العلم لم تختلف، فتشوق حينئذ المدعو إلى معرفة ما عند الداعي من العلم، فإذا علم منه الإقبال أخذ في ذكر معاني القراءات وشرائع الدين، وقال له أن ما نزل بالأمة من شتات الكلمة، والأهواء المضلة هو أنهم نصبوا أناساً غير مستحقين للإمامة، وذهبوا عن الأئمة الشرعيين الذين نصبوا لها. ثم يوجه المدعو بعض الأسئلة مثل ما معنى الصراط؟ وما يأجوج ومأجوج؟ وما إبليس وما الشياطين؟ ولم جعلت السماوات سبعاً، والأرضون سبعاً والمثاني من القرآن سبعاً؟ ولما فجرت العيون إثنا عشرة عينا؟ ولم جعلت الشهور إثنتي عشر شهراً؟... الخ ثم يقول الداعي بعد ذلك ألا تتفكرون في حالكم؟ وتعتبرون، وتعلمون أن الذي خلقكم حكيم غير مجازف، وأنه فعل جميع ذلك لحكمة، وله فيها أسرار خفية،.... فكيف يسعكم الإعراض عن هذه الأمور وأنتم تسمعون قول الله عز وجل: "وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون.."[1]...ألا يدلكم هذا على أن الله جل اسمه أراد أن يرشدكم إلى بواطن الأمور الخفية، وأسرار فيها مكتومة لوتنبهتم لها وعرفتموها لزالت عنكم كل حيرة، فإذا علم الداعي أن نفس المدعو قد تعلقت بما سأله عنه، وطلب منه الجواب عنها أخذ عليه العهد وصيغة هذا العهد أن الداعي يأخذ بيد المدعو اليمنى، ويقول له: "عاهدنا بالموكد من إيمانك وعقودك ألا تفشي لنا سراً، ولا تظاهر علينا أحداً، ولا تطلب لنا غيلة، ولا تكتمنا نصحاً ولا توالي لنا عدواً، فإذا أعطى العهد قال له الداعي: أعطنا جعلاً من مالك نجعله مقدمة أمام كشفنا للأمور وتعريفك إياها، والرسم بحسب ما يراه الداعي، فإن امتنع المدعو أمسك عنه الداعي، وإن أجاب نقله إلى الدعوة الثانية[2].

---

(1) سورة الذاريات، الآية [20-21].

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 123-126.

وفي المرتبة الثانية ولا تكون إلا بعد اجتياز المرتبة الأولى ودفع المال أو الجعل يقـول الداعي للمستجيب: إن الله تعالى لم يرض في إقامة حقه وما شرعه لعباده إلا أن يأخذوا ذلك مـن أئمة نصبهم للناس، وأقامهم لحفظ شريعته على ما أراده الله تعالى، ويحاول إقرار هذا في نفـس المستجيب ويستدل عليه بأمور مقررة في كتبهم حتى يعلم أن اعتقاد الأئمة قد ثبـت فـي نفـس المدعو، فإذا اعتقد ذلك نقله إلى المرتبة الثالثة[1].

أما المرتبة الثالثة فمرتبطة بالثانية، وفيها يقر المستجيب أن الأئمة السبعة هم علـي بـن ابي طالب، والحسن بن علي، والحسين بن علي، وعلي بن الحسين الملقب زين العابدين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد الصادق، والسابع هو القائم صاحب الزمان والاعتقاد بأن هذا القـائم عنده علم التأويل، ومعرفة تفسير ظاهر الأمور وعنده سر الله تعالى، وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كله... وأن دعاته هم الوارثون لذلك كله من بين سائر الطوائف. لأنهم أخذوا عن الإمام، فإذا أذعن المدعو لذلك نقله إلى المرتبة الرابعة[2].

وتأتي المرتبة الرابعة لتقرر عند المدعو ان عدد الأنبياء الناسخين للـشرائع النـاطقين بالأمور سبعة كعدد الأئمة ولا بد لكل نبي من صاحب يأخذ دعوته ويحفظها على أمته، ويكـون معه ظهيراً في حياته وخليفة له من بعد وفاته، وهؤلاء الأنبياء هم آدم عليـه الـسلام وهـو أول هؤلاء الأنبياء وأول النطقاء وكان صاحبه إبنه شيث، وثاني الأنبياء هو نوح عليه السلام فقد نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم، وكان صاحبه إبنه سام، ثم كان الثالث من الأنبياء وهو إبراهيم عليه السلام، وكان صاحبه والخليفة القائم من بعده هو إبنه إسماعيل عليه السلام. ثم جاء موسى بـن عمران الذي نسخ بشريعته شريعة كل من تقدم من الأنبياء وكان صاحبه هو أخوه هـارون، ثـم

---

(1) المقريزي ، المصدر نفسه، ص 127.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 127-128

عيسى بن مريم وكان صاحبه شمعون الصفا، ثم جاء محمد عليه الصلاة والـسلام الـذي جـاء بشريعة نسخ بها جميع الشرائع التي جاء بها الأنبياء من قبله، وكان صاحبه علي بن أبي طالب، ثم من بعد علي ستة قاموا بميراث محمد (ﷺ) وهم إبنه الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين... ثم إسماعيل بن جعفر الصادق وهو آخر الصمت من الأئمة المستورين، والسابع من النطقاء هـو صاحب الزمان وعند الإسماعيلية أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر، الذي انتهى إليه علم الأولين، وقام بعلم بواطن الأمور وكشفها، فإذا تقرر كل ذلك عند المدعو إنتقل إلى المرتبة الخامسة(1).

وإذا انتقل المدعو إلى المرتبة الخامسة، صار الداعي يقرر أنه لا بد لكل إمام قائم في كل عصر حجج متفرقون في جميع الأرض، وعددهم اثنا عشر رجلاً في كل زمان كمـا أن عـدد الأئمة سبعة ويستدل لذلك بأمور منها: أن ا جعل السماوات سبعاً والأرض سبعاً والبروج اثنـا عشر، والشهور اثنا عشر شهراً.. الخ. فإذا تمهد عند المدعو ما دعاه إليه الداعي تقرر نقله حينئذ إلى المرتبة السادسة(2).

والمرتبة السادسة لا تكون إلا بعد ثبوت جميع ما تقدم في نفس المدعو، فإذا صار إلـى هذه الرتبة أخذ الداعي في تفسير معاني شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة والحـج والطهـارة، وغير ذلك من الفرائض بأمور مخالفة للظاهر، وأن ا تعالى قد وضع هذه الأشياء علـى جهـة الرموز لمصلحة الناس وسياستهم حتى يشتغلوا بها عن بغي بعضهم على بعض، وتبعدهم عـن الفساد في الأرض. فإذا تقرر عند المدعو ذلك نقله الداعي إلى الكلام في الفلسفة، وحضه علـى

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 128-129

(2) المقريزي، المواعظ، ج2، ص 130

النظر في كلام أفلاطون وأرسطو وغيرهم ونهاه عن قبول الأخبار والاحتجاج بالسمعيات، وزين له الإقتداء بالأدلة العقلية والتعويل عليها، فإذا تقرر كل ذلك نقله إلى المرتبة السابعة.[1]

ولا يفصح الداعي عن المرتبة السابعة للمدعو إلا بعد أن يتيقن أنه قد تأهل إلى الانتقال إلى رتبة أعلى، فإذا علم ذلك منه قال له إن الناصب للشريعة وهـو الرسـول (ﷺ) لا يـستغني بنفسه، ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه، ليكون أحدهما الأصل، والآخـر صـادر عنـه، وكلامهم هذا مأخوذ من كلام الفلاسفة القائلين الواحد لا يصدر عنه إلا واحد. فإذا تقرر ذلك إنتقل إلى المرتبة الثامنة.[2]

وفي هذه المرتبة يقول الداعي للمستجيب، إعلم أن أحد المذكورين اللـذين همـا مـدبر الوجود والصادر عنه إنما تقدم السابق على اللاحق تقدم العلة على المعلول. والسابق عندهم (ا سبحانه وتعالى) لا إسم له ولا صفة، ولا يعبر عنه ولا يقيد. فنفوا عنه الصفات، فإذا إستقر ذلـك عند المدعو قرر عنده الداعي أن التالي يدأب في أعماله حتى يلحق الـسابق، والـصامت فـي الأرض يدأب حتى يصير في منزلة الناطق...الخ، فإذا اعتقد المدعو بذلك قرر عنده أن معجـزة النبي (ﷺ) ليست غير أشياء ينتظم بها سياسة الجمهور، وتشمل الكافة مصلحتها بترتيـب مـن الحكمة تحوي معاني فلسفية، وأن القيامة والقرآن والثواب والعقاب..... سوى ما يفهمه العامـة وما يتبادر إلى الذهن فإذا إستقر ذلك إنتقل إلى المرتبة الأخيرة وهي التاسعة[3].

والدعوة التاسعة هي النتيجة التي يحاول الداعي ترسيخها في نفس من يدعو فإذا تعين أن المدعو تأهل لكشف السر، والإفصاح عن الرموز أحاله إلى ما تقرر في كتب الفلاسفة من علـم الطبيعيات وما بعد الطبيعة، والعلم الإلهي وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية، حتـى إذا تمكـن

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 130-131

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 131-132

(3) المقريزي، المواعظ، ج2، ص 132-133

المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه وقال: ما ذكر من الحدوث والأصـول رمـوز إلـى معاني المبادئ وتقلب الجواهر وأن الوحي إنما هو صفاء النفس، فيجد النبي في فهمه ما يلقى إليه ويتنزل عليه فيبرزه إلى الناس، ويعبر عنه بكلام الله الذي نظم به النبي شريعته بحسب ما يـراه من المصلحة في سياسة الكافة، وأن الأنبياء النطقاء أصحاب الشرائع إنما هم لسياسة العامة، وأن الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصة، وأن الإمام إنما وجوده في العالم الروحاني وظهوره الآن إنما هو ظهور أمره ونهيه على لسان أوليائه[1].

هذا وقد أسندت رياسة الدعوة الإسماعيلية في عهد الفاطميين إلى موظف كبيـر أطلـق عليه اسم "داعي الدعاة" وهو يلي قاضي القضاة في الرتبة ويتزيا بزيه، ولا بد أن يكـون عالمـاً بالمذهب، وله أخذ العهد على من ينتقل من مذهبه إلى مذهبهم، وبين يديه إثنا عشر نقيبـاً، ولـه نواب في سائر البلاد، ويحضر إليه فقهاء الشيعة في دار العلم، وكانوا يتفقون على دفتر يقال لـه "مجالس الحكمة" يقرأ في كل يوم إثنين وخميس، بعد أن تحضر مبيـضته إلـى داعـي الـدعاة، ويتصفحه ويدخل به إلى الخليفة فيتلوه عليه إن أمكن، ويأخذ خطه عليه في ظاهره، ثم يجلس في القصر لتلاوته على المؤمنين في مكانين: للرجال على كرسي الدعوة بالإيوان الكبير في القصر، وللنساء بمجلس الداعي، وله أخذ النجوى من المؤمنين بالقاهرة ومـصر وأعمالهـا، ولا سـيما الصعيد ومبلغها ثلاثة دراهم وثلث فيجتمع من ذلك شيء كثير يحمله إلى الخليفة[2].

وقد أورد المقريزي نص العهد الذي يأخذه الداعي على المستجيبين ومما جاء فيـه: "أن الداعي يقول لمن يأخذ عليه العهد ويحلفه: جعلت على نفسك عهد الله وميثاقـه وذمـة رسـوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسله، وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق أنك تستر جميع مـا

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 133

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 110-112، المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص 344

تسمعه وسمعته وعلمته وتعلمه، وعرفته وتعرفه من أمري وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحـق الإمام الذي عرفت إقراري له... فلا تظهر من ذلك شيئاً قليلاً ولا كثيراً، ولا شيئاً يدل عليه إلا ما أطلقت لك أن تتكلم به... وأن تمنعني وجميع من أسميه لك وأثبته عندك مما تمنع منه نفسك..[1].

وقسم الإسماعيلية العالم مثل السنة الزمنية إلى إثني عشر قسماً سموا كل واحـد منهـا جزيرة، ولا يزال تحديد هذه الجزائر غير واضح لدى الدارسين لاختلاف أسمائها وحدودها، وقد جعلوا على كل جزيرة داعياً هو داعي دعاة الجزيرة أو حجة الجزيرة يساعده ثلاثون داعياً "نقيباً" يراجعهم ويستعين بهم في كل ما يتعلق بجزيرته، ولكل داع نقيب أربعة وعشرون داعياً نـصفهم ظاهر ونصفهم مستتر[2]. يقول الداعي إدريس عن الإمام جعفر الصادق، "وبث الدعاة وحـدود الدين في الجزائر وأخذ العهود وكشف الحقائق..[3]" ويقول عن الخليفة المستنصر "وبث الـدعاة في الجزائر"[4] ويقول في موضع آخر: "وأشتهر أمر ولي الله أمير المـؤمنين فـي الآفـاق... وانتشرت له الدعاة في جميع الجزائر"[5]. ولم يكن دعاة الإسماعيلية على نفس الرتبة، بل كانـت عندهم مراتب للدعاة، والمرتبة في الدعوة تكون حسب السبق في الإجابة للدعوة.[6]

فلكل إمام سبعة حدود متمين لدوره وهم الباب والحجة وداعي البلاغ والداعي المطلـق والداعي المحصور والمأذون المطلق والمأذون المحصور[7] وترد بترتيب آخر عنـد صـاحب رسالة الاسم الأعظم فيكون الترتيب أهل الاستجابة ثم المؤمن البالغ ثم المأذون المحدود فالمأذون

---

(1) عن نص العهد كاملاً أنظر المقريزي، المواعظ والاعتبار ج2، ص 134-136

(2) ابن حيون، المجالس والمسارات، هامش رقم (3)، ص 241.

(3) الداعي إدريس، زهر المعاني، ص 196.

(4) الداعي إدريس، المصدر نفسه، ص 249.

(5) الداعي إدريس، تاريخ لخلفاء، ص 646.

(6) مسائل مجموعة، ص 86.

(7) المصدر نفسه، ص 82.

المطلق فالداعي المحصور وأخيراً الداعي المطلق. وأهل الاستجابة هم الذين لم يكشف لهم بعـد معارف ولا ارتقوا رتباً والجامع لهم هو العهد. أما الداعي المحصور فهو رتبة خفية في الدعوة، ولا تكاد تعرف عند أكثر أهلها، أما الداعي المطلق فهو يقوم لأهل جزيرته مقام الإمام خصوصاً في أوقات إستتار دعاة البلاغ والحجج والأبواب باستتار الإمام.[1]

ولا نعرف بالضبط وظيفة كل واحد من هؤلاء، لكن يمكن القول أن أصحاب هذه الرتب هم الذين يكلفون بحمل أعباء تثقيف الناس ونشر الدعوة في الجزائر.

وهذا ما يؤكد قول الخليفة الفاطمي المعز لدين ا حين يقول: "وقد أوجب ا على جميع خلقه ولايتنا ومعرفتنا، واتباع أمرنا، والهجرة والسعي إلينا من قرب ومن بعد، كمـا أوجـب ا عليهم في ظاهر أمره الحج إلى بيته الحرام من الآفاق ولكن للرأفة بهم، ولما نرجوه ونحبه مـن هدايتهم، قد نصبنا بكل جزيرة لهم من يهديهم ويدلهم علينا"[2]. ويقول أيـضاً[3]: "... فمـا مـن جزيرة في الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون إلينا، ويدلون علينا، ويأخذون بيعتنا، ويذكرون رجعتنا، وينشرون علمنا، وينذرون بأسنا، ويبـشرون بأيامنـا بتـصاريف اللغـات، واختلاف الألسن وفي كل جزيرة وإقليم رجال منهم يفقهون، وعنهم يأخذون، وهو قول ا عـز وجل :وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم"[4].

هذا وقد برع الإسماعيليون في التنظيم والإشراف على كافة الجزائر بـسرعة فائقـة[5] فكان هناك إتصال دائم بين المركز الذي يمثل الإمام والدعاة في الجزائر، والحرص على متابعة شؤون وأخبار الجزر فيذكر أبن حيون أن رسول أحد الدعاة بالمشرق قد قدم إلى المعـز بمـال

---

(1) مؤلف مجهول، رسالة الاسم الأعظم، من كتاب أربعة كتب إسماعيلية، ص 174-175.

(2) ابن حيون، المجالس والمسايرات، ص 432-433

(3) سورة لقمان، الآية 27

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 253

(5) التواتي بو بكر، المرحلة الإفريقية، ص 226

حمله ذلك الداعي من أعمال المؤمنين فسأله المعز عن أحوال الداعي، والمؤمنين قبله، فـأخبره الرسول باستقامة الأحوال وانتظام الدين[1]. ويقول الداعي إدريس أيضاً: "انتهت إلى القائم بـأمر ا في آخر أيامه وفاة داع من دعاته ببعض جزائر المشرق.[2]

وكان الدعاة يعتمدون في كل ما يصدر عنهم من أحكام على الأئمة فيذكر الداعي إدريس أن داعي السند قد بعث بكتاب إلى المعز يسأله في مسائل فيما يقيم به الدين ويسأله عن أشياء من الفقه والحلال والحرام، ومسائل في التأويل الذي جعل ا علمه عند أهل الذكر من إمام بعد إمام، وأجابه المعز بسجل مشهور[3].

وبما أن الدعاة هم نواب عن الأئمة في كافة أقاليم الدعوة، فقد حرص الأئمة الفـاطميين على تثقيفهم حتى يتمكنوا من الرد على الخصوم إذ يقول الخليفة المعز لـدين ا : "أردنـا مـن أوليائنا أن يكونوا علماء وفي الدنيا يعرف فضلهم جميع أهلها وإلا فإن- وأعوذ با – ظهر على أحدهم عدو لنا فسألة عن مثل ما نسألهم عنه من أمر دينه، واعتقـاده، وبمـاذا أوجـب ولايتنـا وإمامتنا عنده، ولعله أن يكون ممن عرف بنا، وذكر من أوليائنا، فلا يجد عنده شيئاً أفليس يكون ذلك ولو كان، وأعوذ با من النقص علينا، ويوجد به السبيل إلى الطعن في مذهبنا ونسبة الجهل إلينا، والزراية على ما عندنا"[4] ويقول أيضاً عن أوليائه من كتامة: "ونحـب أن نجعـل جمـيعهم أعلاماً يهتدى بهم، وسراجاً يستضاء بنورهم، وعلماء يقتبس الخلقاء منهم"[5].

---

(1) ابن حيون، المجالس، ص 338

(2) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 536

(3) المصدر نفسه، ص 646

(4) ابن حيون، المجالس، ص 142

(5) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 619

كما إهتم الفاطميون بأخلاق الدعاة وسلوكياتهم فكانوا يدعونهم إلى ضـرورة التواضـع وعدم الغرور[1]، واللين والترفق بالناس، وعدم تعنيفهم وذلك لقـول الإمـام جعفـر الـصادق: "تواضعوا لمن تعلمونه العلم، ولا تكونوا جبارين فيذهب باطلكم بحقكم"[2]، وإلقاء الدعوة بطريقة منظمة يراعى فيها أذهان المتلقين لها، فلا يتلقى العامة منها إلا المبادئ الأساسية، بينمـا يرتفـع بالخاصة والمستنيرين إلى مراتبها وأسرارها العليا[3]. فيروي القاضي إبن حيون عـن المعـز فيقول: "وسمعته يوماً رمز بالحكمة رمزاً خفياً في مجلس فيه جماعة من أوليائه ففهمت عنه مـا أشار إليه، ولم أر على من حضر دليلاً على الفهم، وأحببت أن لو قد فهموا ذلك، فذكرت ذلك لـه سراً في مجلس آخر فقال: إنا لو كشفنا كل شيء لكم، وأوضحنا لسائركم لبطل التفضيل بيـنكم، ونال الفضل مستحقه وغير مستحقه، ولكننا نريد أن يصل الفضل إلى مـستحقه، ويمـر القـول صفحاً على سمع غير المستحق، ثم ذكر بعض الدعاة، فقال : أهلكوا بمثل هذا أمماً مـن حملـوه فوق حمله، وأعطوه فوق إستحقاقه، ولم يتحفظوا مثل هذا التحفظ ولو أنزلوا الناس على مراتبهم وطبقاتهم واستحقاقهم، لسلموا وسلم الناس من سوء فعلهم[4].

ويقول أيضاً: "وما ينبغي لنا أن نعطي أحداً من أمانة ا عندنا ما لا يستحقه وا ما نفعل ذلك لأبنائنا، وما نعطي من نرتضيه منهم إلا قدر حقه فيه لا نزيده قلامة ظفر عليه"[5].

---

(1) ابن حيون، المجالس والمسايرات، ص 145

(2) المصدر نفسه، ص 275-276

(3) عيسى العزام، الدولة الفاطمية في عصر الخليفة المستنصر، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، 1997م، ص 661

(4) ابن حيون، المجالس، ص 96-97

(5)ابن حيون، المصدر نفسه، ص 277

كما نهوا الدعاة عن خلط الدين بالفلسفة[1]، والحرص على صورة الأئمة لـدى النـاس فيذكر القاضي إبن حيون أنه سمع القائم بأمر ا الخليفة الفاطمي يقول في قوم من الـدعاة بلغـه أنهم غلوا فيه، وفي آبائه، وقالوا إنهم يعلمون الغيب فلعنهم وقال: "هؤلاء الصادون عنا الكاذبون علينا، وا ما أرادوا بما وصفونا به إلا تكذيباً لنا، وأبعدوا الناس عنا لأنهم إذا وصفونا لهم بمـا ليس فينا، فلم ير الناس ذلك، ولا وجدوه عندنا لم يروا أنّا أئمة"[2]. وبفضل هذا التنظـيم المحكـم للدعوة والدعاة إنتشرت الدعوة الإسماعيلية بشكل لم تعهـده أي دعـوة إسـلامية فـي جميـع الأصقاع[3].

ومن اشهر دعاة الإسماعيلية أبو حاتم أحمد بن حمدان الـرازي ت 322هـ/933م ولـه مؤلفات وتصنيفات عدة في باطن العلم والتأويل المأخوذ عن الأئمة[4]، والـداعي أبـو يعقـوب السجستاني (ت331هـ/947م) وقد تجارى هو والرازي في التأليف، وألّف السجـستاني كتـاب النصرة[5]. والداعي حميد الدين أحمد بن عبد ا الكرماني ت 408هـ/1017م صـاحب كتـاب الرياض بما أبان غامض الكلام، والمصابيح فـي الأئمـة[6] والقاضـي أبـو حنيفـة النعمـان ت363هـ/973م الذي وصل في مراتب الدعوة إلى أسمى ذروة وجعـل إليـه إزالـة المظـالم، وللقاضي النعمان الكثير من المؤلفات منها كتاب الإيضاح وكتاب مختصر الإيضاح، والإتفـاق والإفتراق، وكتاب دعائم الإسلام...[7] الخ.

---

(1) ابن حيون، المجالس والمسايرات، ص 372-376

(2) المصدر نفسه، ص 78

(3) التواتي بو بكر، المرحلة الإفريقية، ص 228

(4) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 260-261

(5)الداعي إدريس، المصدر نفسه، ص 261

(6)الداعي إدريس، المصدر نفسه، ص 729

(7)الداعي إدريس، المصدر نفسه، ص 556-561

وأيضاً جعفر بن منصور اليمن الذي هجر مملكة أبيه في اليمن وهاجر إلى الأئمة فكان له عندهم المكانة العظيمة وللداعي جعفر بن منصور مؤلفات كثيرة في علم أهل البيت، وسيرة في ذكر أبيه المنصور وافتتاحه لليمن[1].

كما كان لسلاح الدعاية الأثر الكبير في نشر مذهبهم، وهذا ما نجده في الخطاب الـذي وجهه القائد جوهر الصقلي إلى أهل مصر بعد افتتاحها على يديه سنة 358هـ/968م فقـد عمـل جوهر على محو فكرة الغلو المذهبي التي رمى بها الـسنيون جماعـة الإسـماعيلية فخاطـب المصريين بقوله: "إن الإسلام سنة واحدة وشريعة متبعة، وهي إقامتكم على مذهبكم، وأن تتركوا على ما كنتم عليه من أداء الفروض في العلم، والاجتماع عليه في جوامعكم ومساجدكم، وثبـاتكم على ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة -رضي ا عنهم- والتابعين بعدهم وفقهاء الأمـصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم وفتواهم، وأن يجري الأذان، والصلاة، وصـيام شـهر رمـضان وفطره، وقيام لياليه، والزكاة، والحج، والجهاد على أمر ا وكتابه وما نـصه نبيـه (ﷺ) فـي سنته"[2].

كما يصور الفاطميين على أنهم حماة الإسلام والمسلمين والأراضي الإسلامية تجـاه أي خطر أو غزو خارجي وإقامة فروض الإسلام المتعطلة، كالحج وبسط العدل وإظهـاره الحـق فيقول: "... لم يكن إخراجه (يقصد الإمام) للعساكر المنصورة، والجيوش المظفرة دونكم إلا لمـا فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم إذ قد تخطفتكم الأيدي واستطال عليكم المستذل، وأطمعتـه نفسه بالاقتدار على بلدكم في هذه السنة...

---

(1) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 571

(2) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1، ص 180

فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات ا عليه- بإخراج العساكر المنصورة وبادر بإنفاذ الجيوش المظفرة ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق... وآثر إقامة الحج الذي تعطل، وأهمل العباد فروضه وحقوقه لخوف المستولي عليهم... وما أوعز مولانا وسيدنا أمير المؤمنين (ﷺ) إلى عبده من نشر العدل وبسط الحق، وحسم الظلم، وقطع العدوان.[1]

وهذا كله مقابل إظهار الطاعة والولاء للإمام الفاطمي فيقول القائد جوهر: "وتحافظون – من بعد- على الطاعة، وتثابرون عليها، وتسارعون إلى فروضها ولا تخذلون ولياً لمولانا أمير المؤمنين (ﷺ) وتلازمون ما أمرتم به[2]. كما قام جوهر أيضاً بتفريق الصدقات على الضعفاء والمساكين باسم أمير المؤمنين[3].

ويمكن القول أن الدولة الفاطمية قد إتبعت أسلوبين لنشر مذهبها أسلوب لعامة الناس وهو إظهار أنهم قريبون من أهل السنة، ولا يوجد فرق كبير بينهم[4]، فأعلنت من المبادئ الإسماعيلية ما لا يثير سخط السنة، ومن المظاهر الإسماعيلية الجديدة التي أدخلها الفاطميون إلى مصر هو إضافة الصلاة على الأئمة وهم علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة الطاهرين إلى الخطبة[5]. وزيد على الأذان حي على خير العمل[6]، والجهر ببسم ا الرحمن الرحيم[7]، فكان نص الأذان طول مدة الدولة الفاطمية في مصر بعد التكبير والتشهيدين حي على الصلاة، وحي على الفلاح مرتين، وحي على خير العمل محمد وعلي خير البشر مرتين، لا إله إلا ا . ثم يقول المؤذن

---

(1) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1، ص 179-180

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 181.

(3) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 698.

(4) التواتي بو بكر، المرحلة الإفريقية، ص 235.

(5) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 694-695.

(6) الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد، ص 50، إبن الأثير، الكامل، م8، ص 590، أبو الفدا، المختصر في أخبار، ج2، ص 158

(7) ابن الأثير، الكامل، م8، ص 590، أبو الفدا، المختصر، ج2، ص 158.

أحياك ا يا مولانا حافظ نظام الدنيا والدين، وجامع شمل الإسلام والمسلمين، وأعـز بـسلطانك جانب الموحدين، وأباد بسيوفك كافة الملحدين، وصلى عليك وعلى آبائك الطـاهرين، وأبنائـك الأكرمين صلاة دائمة إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين[1].

كما أزال جوهر من مصر السواد الذي هو شعار الدولة العباسية ويقول المقريزي "ولم يدع عملاً إلا جعل مغربياً شريكاً لمن فيه"[2].

أما الأسلوب الآخر فهو أسلوب سري مع الشيعة، ونشر المبادئ الإسماعيلية الـسرية، وذلك لأن عامة الناس يصعب عليهم فهم المبادئ الإسماعيلية الباطنية لذلك ظلت سراً مكنونـاً لا يعلمه إلا الخواص من العلماء والدعاة[3]، وتكتم الأئمة على هذه الدعوة تكتمـاً شـديداً[4]فيقـول الأنطاكي: "ولم يزالوا يكتمون مذهبهم هذا عن من يخالفهم ويظهرون لغيرهم من عامة المسلمين أن صاحب الأمر فيهم هو إمام ا ، وخليفته في أرضه، وحجته على خلقه، وأن الإمامة أجل قدراً من النبوة وأنها كانت في آدم وانتقلت إلى نوح والى إبراهيم... إلى عبـد ا المهـدي العلـوي الظاهر بالمغرب... وعلى ذلك يجري الأمر عندهم سرمداً... فلما كان زمان الحاكم عول علـى إظهار مذهبه، وإشهار ما كان آباؤه يسترونه منه ويخفونه".[5] كما أكرم الفاطميون آل البيت من الحسينين بعد أن كانوا في الدولة الأموية والعباسية يقتلون ويطردون ويحبسون[6].

---

(1) الصنهاجي، اخبار ملوك بني عبيد، ص 50.
(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 189.
(3) التواتي بو بكر، المرحلة الافريقية، ص 235
(4) ابن حيون، المجالس والمسايرات، ص 313
(5) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ج1، ص 334-335
(6) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 728

وسمحوا بإقامة المناظرات بين فقهاء السنة وفقهاء الإسماعيلية[1] كما إتخذ الفاطميون سياسة التسامح مع أهل الذمة فورد في كتاب الأمان الذي كتبه جوهر لأهل مصر بإجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه[2]. وقد بلغ أهل الذمة مناصب عالية في الدولة حتى أن المصادر تذكر أن الخليفة الفاطمي العزيز بالله قد ولى كتابته رجلاً نصرانياً يقال له عيسى بن نسطورس، واستناب بالشام رجلاً يهودياً إسمه منشا، فاستطالت النصارى واليهود بسببهما على المسلمين، فعمد أهل مصر إلى قراطيس فعملوها على صورة إمرأة، وفي رواية أخرى مبخرة من الجريد وألبسوها ثياب نساء وجعلوا في يدها ورقة مكتوب فيها بالذي أعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس وأذل المسلمين بك إلا كشفت عنا، وجعلوها في طريق العزيز وعندما قرأ العزيز هذه الورقة أمر بشنق النصراني نسطورس واليهودي منشا[3].

وفي عهد الخليفة المستنصر تولى شخص يهودي خاصة نظارة أم الخليفة وكان يدعى أبا سعد سهل بن هارون التستري، وهو كما يقول المقريزي تاجر يهودي كانت ام الخليفة المستنصر آمة له وابتاعها منه الخليفة الظاهر واستولدها المستنصر، فلما أصبحت الخلافة للمستنصر استدعت أمه أبا سعد ورقتُه فأشتد نفوذه، ومضى يسند مناصب الدولة لليهود الذين اضطهدوا المسلمين اضطهاداً لا حد له ونظم أحد الشعراء المعاصرين ويدعى الرضى بن ألبون الأبيات التالية :

يهود هذا الزمان قد بلغوا	غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم	وفيهم المستشار والملك

---

(1)الداعي إدريس، المصدر نفسه، ص 699

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 180

(3) أبو الفدا، المختصر، ج2، ص 190، ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ص 196

يا أهل مصر إني نصحتُ لكم تهودوا قد تهود الفلك[1]

كما كان لكتب المذهب الإسماعيلي أهمية خاصة عندهم لذلك حاولت الدولة تعميم هـذه الكتب ونشرها، فأمر المعز لدين ا الخليفة الفاطمي القاضي النعمان بقراءة كتب الأئمة من آبائه ونشر علومهم على أتباعه وأوليائه، ومن هذه الكتب كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمـان بـن محمد، والمعز هو الذي أمر بتأليف هذا الكتاب وأصل له أصوله، وفرع لـه فروعـه وأخبـره بصحيح الروايات عن الطاهرين من آباءه عن الرسول (ﷺ)، وقد ابتدأ في هذا الكتـاب بـذكر ولاية علي بن أبي طالب وأحقيته بخلافة الرسول (ﷺ) وذكر ولاية الأئمة من ذريـة الرسـول (ﷺ)، ووجوب الصلاة عليهم، وأن الإمامة لا تكون إلا بالنص والتوقيف، ثـم ذكـر فـرائض الإسلام من طهارة وصلاة وزكاة، والأحكام والأشربة والبياعات.. الخ [2].

وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الإسلام وكتاب الوزير يعقوب بن كلس في الفقه على مذهب أهل البيت وفرض الخليفة الظاهر لمن يحفظ ذلك مالاً [3].

وفي بعض الأحيان كانت الدولة الفاطمية تتخذ سياسة معادية مع أصـحاب المـذاهب الأخرى من المسلمين، وتمارس عليهم سياسة التضييق فيذكر المقريزي ضـمن أخبـار سـنة 416هـ/1025م أن الخليفة الظاهر أمر بنفي من وجد من الفقهاء المالكية وغيرهم.[4] وفي أخبار سنة 382هـ/ 992م يذكر المقريزي أيضاً أنه ضرب رجل، وطيف به في المدينة من أجـل أنـه

---

(1) ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف (ت 677هـ-1278م)، المنتقى من أخبار مصر، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ص 5؛ المقريزي، المواعظ، ج2، ص 42؛ الصنهاجي، أخبار ملوك، ص 71.

(2) الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 556-563..

(3) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص 40.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 40

وجد عنده موطأ مالك رضي ا عنه[1]. ويقول الأنطاكي فـي تاريخـه سـنة 370هـ/980م أن العزيز با الخليفة الفاطمي قد أمر بقطع صلوات القنوت، وهي صلاة يصليها المـسلمون فـي المصليات الجامعة في شهر رمضان بعد صلوات العتمة، وعظم ذلك على كافة أهل الـسنة مـن المسلمين[2]. كما يذكر إبن إياس أن العزيز با قد أمر أن يسب الصحابة وأمر بكتابة سبهم على أبواب كل مسجد، فأقام على ذلك، ثم رجع عنه وأمر بمحو ما كتبه على أبواب المساجد[3].

وقد كان للشك الذي حام حول أصل الفاطميين الأثر الكبير في الدور الذي لعبـوه فـي الحضارة الإسلامية في مصر، فلقد أدركوا عندما أصبح بأيديهم زمام حكـم البلـدان أن معظـم المصريين على المذهب السني بينما هم على المذهب الشيعي وأن انتسابهم لآل البيت موضع شك فأرادوا أن يقربوا مسافة الخلاف بينهم وبين من يحكمون، فأقبلوا على الحياة العامة يوجهون إليها جهدهم فاهتموا بشؤون الشعب، وأسرفوا في الترفيه عنه، وسهلوا له سبل اللهو بما ابتدعوه مـن المواسم والموالد والأعياد[4] وقد انتشرت في عهد الفاطميين الحفلات الرسمية بشكل لم يعرفه أي بلاط إسلامي سابق حتى يصرفوا الناس عن التحدث عن أصلهم[5].

فالعادة أن يحتفل المسلمون طوال العام بعيدي الفطر والأضحى والـى جانـب هـاذين العيدين كانت العادة في مصر الفاطمية أن يحتفل كذلك برأس السنة الهجرية أول محرم[6]، ومولد النبي (ﷺ) في الثاني عشر من ربيع الأول[7].

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 327

(2) الانطاكي، تاريخ الأنطاكي، ج1، ص 193

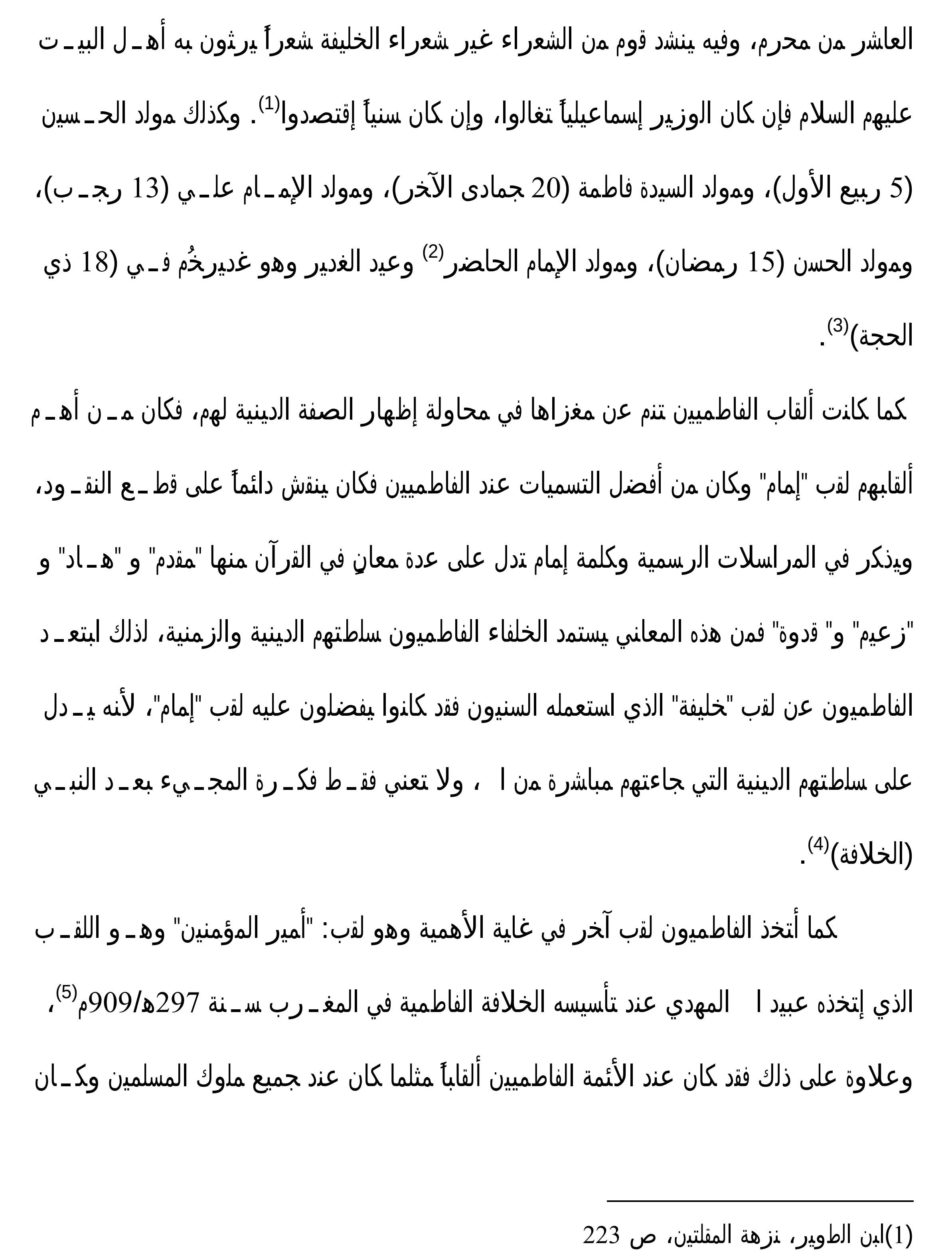
(3) ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ص 200

(4) رمزية الأطرقجي، الأزهر في ظل الفاطميين، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 25، 1979م، ص 472.

(5) المرجع نفسه، ص 472

(6) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص347-348

(7) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 219، المقريزي، المواعظ والاعتبار، ص 347



أما إحياء ذكرى المناسبات الشيعية، وقد كانت عديدة وعلى رأسها حزن عاشوراء في العاشر من محرم، وفيه ينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة شعراً يرثون به أهل البيت عليهم السلام فإن كان الوزير إسماعيلياً تغالوا، وإن كان سنياً إقتصدوا[1]. وكذلك مولد الحسين (5 ربيع الأول)، ومولد السيدة فاطمة (20 جمادى الآخر)، ومولد الإمام علي (13 رجب)، ومولد الحسن (15 رمضان)، ومولد الإمام الحاضر[2] وعيد الغدير وهو غديرخُم في (18 ذي الحجة)[3].

كما كانت ألقاب الفاطميين تنم عن مغزاها في محاولة إظهار الصفة الدينية لهم، فكان من أهم ألقابهم لقب "إمام" وكان من أفضل التسميات عند الفاطميين فكان ينقش دائماً على قطع النقود، ويذكر في المراسلات الرسمية وكلمة إمام تدل على عدة معانٍ في القرآن منها "مقدم" و "هاد" و "زعيم" و" قدوة" فمن هذه المعاني يستمد الخلفاء الفاطميون سلطتهم الدينية والزمنية، لذلك ابتعد الفاطميون عن لقب "خليفة" الذي استعمله السنيون فقد كانوا يفضلون عليه لقب "إمام"، لأنه يدل على سلطتهم الدينية التي جاءتهم مباشرة من ا ، ولا تعني فقط فكرة المجيء بعد النبي (الخلافة)[4].

كما أتخذ الفاطميون لقب آخر في غاية الأهمية وهو لقب: "أمير المؤمنين" وهو اللقب الذي إتخذه عبيد ا المهدي عند تأسيسه الخلافة الفاطمية في المغرب سنة 297هـ/909م[5]، وعلاوة على ذلك فقد كان عند الأئمة الفاطميين ألقاباً مثلما كان عند جميع ملوك المسلمين وكان

---

(1)ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 223

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 347

(3) المصدر نفسه، ج2، ص 116، ابن الطوير، المصدر نفسه، ص 186

(4) عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين، ص (72-74)

(5) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 75؛ عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين، ص 74

اللقب الفاطمي دائماً يشتمل على كلمة ا مثل المعز لدين ا ، والعزيز با ، والعاضد لـ دين ا .

فكان اللقب عندهم وسيلة لتأييد إمامتهم[1].

كما حاول الفاطميون نشر مذهبهم من خلال المؤسسات التربوية والتعليميـ ة كالمـ ساجد والقصور والمكتبات ودار الحكمة، وهذا ما سنحاول دراسته في الفصل التالي.

---

(1) عبد المنعم ماجد، المرجع نفسه، ص 149

الفصل الثاني

المؤسسات التربوية والتعليمية عند الفاطميين

1- الكتاتيب
2- المساجد
3- دار الحكمة
4- المكتبات
5- القصور
6- المدارس

الفصل الثاني

المؤسسات التربوية والتعليمية عند الفاطميين

1- الكتاتيـ ـ ـب:

وهي أماكن تعليم الصبيان، ويعتبر الكتاب هو المرحلة الأولى للتعليم في الدولة الإسلامية، ومن بعدها ينتقل الصبي إلى التعليم في المسجد. وقد انتشرت الكتاتيب في الدولة الفاطمية انتشاراً كبيراً، يدلّ على ذلك ظهور تسميات متعددة له مثل " مكاتب "[(1)]. ومفردها مكتب و " الحوانيت"[(2)] وكان الذين يعلمون به يسمون معلمي المكاتب[(3)].

وكان الطفل في الغالب يرسل إلى الكُتاب في سن مبكرة تتراوح ما بين سن الخامسة والسابعة، وتشهد تراجم كثير من العلماء المصريين الذين عاصروا الفاطميين أن الطفل كان يذهب إلى الكُتاب في سن مبكرة[(4)]، مثل الطبيب المصري علي بن رضوان، إذ ينقل إبن أبي أصيبعة عنه قوله : " فلما بلغتُ السنة السادسة أسلمت نفسي في التعليم، ولما بلغتُ السنة العاشرة انتقلت إلى المدينة العظمى (القاهرة) وأجهدت نفسي في التعلم، ولما أقمت أربع عشرة سنة أخذت في تعلم الطب والفلسفة، وقد عاصر إبن رضوان هذا الحاكم والظاهر المستنصر، وكانت وفاته بمصر سنة 453هـ/1061م [(5)]، كما نرى كذلك في ترجمة الحسين بن علي أبي القاسم المعروف بالوزير المغربي، وكان مولده بمصر سنة 370 هـ/980م، أنه حفظ القرآن وعدة كتب في النحو واللغة وكثيراً من الشعر، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة، وأجاد الخط

---

(1) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1، ص(301).

(2) الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت 589هـ/1193م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1946م، ص(103).

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص (116).

(4) خطاب عطية، التعليم في مصر، ص (73).

(5) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص(561)، خطاب عطية، المرجع نفسه، ص 73.

قبل أن يبلغ الرابعة عشرة من عمره [1]، مما يدل دلالة واضحة على أنه بدأ دراسته في سن مبكرة قد تكون قبل السابعة.

والحياة في الكُتاب كانت فطرية في الغالب، وأوقات الدراسة فيه كانت تحدد بعلامات طبيعية، فشروق الشمس يعتبر بداية اليوم الدراسي في الكُتاب وآذان العصر نهايته، وهكذا يطول اليوم الدراسي أو يقصر تبعاً لشروق الشمس وآذان العصر. فإذا بزغت الشمس هرع الأولاد إلى الكتاب صبيحة كل يوم إلا إذا كان يوم الجمعة، أو أحد أيام المواسم الرسمية فكانوا يعطلون فيه لإراحتهم من عناء الدرس، أو للإحتفال والتمتع بالأعياد والمواسم المختلفة [2].

وتقوم الدراسة في الكتاب على أساس ديني، وأهم مواده القرآن الكريم فيقول ابن خلدون : " إعلم أن تعلم الولدان القرآن شعار الدين أخذ به أهل الملّة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبقُ فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن، وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من ملكات، وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخاً، وهو أصلٌ لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات[3]"، فكان معلم الكتاب يعلم الصبي السور القصار من القرآن بعد أن يتأكد من معرفة الصبي للحروف،وضبطها بالشكل[4]، كما كان الصبي يتعلم الخط والحساب وما يستحسن من المراسلات والأشعار[5]، وكان المعلم يعلم الصبيان – ما فوق سبع سنين - الصلاة ويضربهم

---

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق عمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف ،لبنان، (د.ت) م4، ص (43). خطاب عطية، التعليم في مصر، ص (74).

(2) خطاب عطية، التعليم في مصر، ص (74-75).

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص (357-538).

(4) الشيزري، نهاية الرتبة، ص (103)؛ ابن سحنون، محمد بن سحنون (ت 256هـ - 869م)، آداب المعلمين، ملحق رقم (2) من كتاب أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص (360).

(5) الشيزري، نهاية الرتبة، ص(103).

عليها على عشر[1]، وبالإضافة إلى ذلك كله كان الصبيان في الكتاتيب يتعلمون السباحة، والتي أصبحت أساسية في المقررات بحيث وجد لها معلمون متخصصون عرفوا بمعلمي العوم[2]. وكان الصبي في الغالب يتمم هذه المرحلة الدراسية في بضع سنوات لا نستطيع تقديرها على التحديد لأنها تختلف باختلاف استعداد الأطفال وظروفهم[3].

أما عن مكان الكُتاب فلا يجوز تعليم الصبيان في المساجد لأن النبي (ﷺ) أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لأنهم يسودون حيطانها، وينجسون أرضها، بالإضافة إلى التشويش الذي قد يحدثه الأطفال على المصلين وحلقات الدرس في المسجد، لذلك كانت تقام الكتاتيب في الدروب وأطراف الأسواق[4].

ومما يسترعي النظر أن المسلمين في مصر وغيرها من البلدان لم يعنوا بزخرفة الكُتاب، أو تنسيقه في العصر الفاطمي، أو في غيره من العصور الأخرى بل ظل على بساطته مدى العصور، فكان الكتاب يفرش بالحصر غالباً، وكان يجلس عليها الصبيان متربعين حول معلمهم، وكانت أدوات الدراسة فيه لا تتجاوز المصحف الشريف، وعدد من الألواح يكتب عليها الصبيان، وكذلك عدداً من الدوى والأقلام[5].

وكان المعلمون على ضروب وأنواع، فمنهم من اختص بتعليم الأولاد والصبية في الكُتاب، وكانوا يعلمون الصبية في أولى المراحل الدراسية حيث لا يتعدى المنهاج تحفيظ

---

(1) الشيزري، المصدر نفسه، ص 103؛ القابسي، أبو الحسن علي بن محمد، ت(403هـ - 1012م)، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ملحق رقم (1)، من كتاب أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، ص (304-305).

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص (116-117)

(3) خطاب عطيـة، التعليم في مصر ، ص 76.

(4) الشيزري، نهاية الرتبة، ص 103؛ خطاب عطية، التعليم في مصر، ص 171.

(5) خطاب عطية، المرجع نفسه، ص (71-72).

القرآن الكريم، وما يتطلب ذلك من معرفة القراءة والكتابة، فلم يزود المعلم من العلم إلا بالقليل[1]، أما النوع الآخر وهم المؤدبون الذين اختصوا بتعليم أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة، وكان الخلفاء الفاطميون حريصين كل الحرص على تعليم أبناءهم ومماليكهم وخدامهم، فكانوا يتخذون مؤدبين يعلمون أبناءهم في المنازل،وكانوا يختارون من بين أجل العلماء وأفضلهم ذكراً. فيذكر المقريزي ضمن أخبار سنة 391هـ/1000م، أن الحاكم بأمر ا الفاطمي قَتَلَ مؤدبه أبا القاسم سعيد بن سعيد الفارقي[2]، وفي موضع آخر يقول : " إن الوزير الفاطمي المأمون قبض على جماعة منهم رجل كان يقرئ أولاد الخليفة الآمر[3]. كما ترد إشارة عند المقريزي أن أبناء الخلفاء الفاطميين كانوا يجلسون في الكُتاب فيقول ضمن الحديث عن أخبار سنة 384 هـ/994م، أن المنصور أبن الخليفة المعز لدين ا قد جلس في المكتب[4].

كما اهتم أيضاً كبار القواد والوزراء الفاطميون باتخاذ المؤدبين لتعليم أولادهم، فيذكر ابن ميسر في أخبار سنة 521هـ/1127م، أنه توفي فيها قاضي القضاة أبو الحجاج يوسف بن أيوب بن إسماعيل الأندلسي وكان قد اقرأ المؤتمن أخا الوزير المأمون القرآن والنحو[5].

كما يذكر ياقوت الحموي أن علي بن جعفر المعروف بابن القطاع ت (514هـ/1120م)، كان يعلّم ولد الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي (وزير الآمر با)، وكان ابن القطاع إمام وقته ببلده، وبمصر في علم العربية وفنون الأدب[6]، وكان علي بن

---

(1) خطاب عطية ، المرجع نفسه، ص (81).
(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 350.
(3) المصدر نفسه، ج2، ص(213).
(4) المصدر نفسه، ج1، ص 311.
(5) أبن ميسر، المنتقى، ص 106.
(6) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، م4، ص (505).

منصور بن طالب الحلبي ويعرف بابن القارح يؤدب ولدي الحسين بن جوهر القائد بمصر[1]، ومما لا شك فيه أن المؤدب كان معلماً خاصاً للأطفال فكان يقوم بمثل العمل الذي يقوم به معلم الكُتاب، ولكنه كان من طبقة أخرى تفضلُ طبقة معلم الكتاب كثيراً، ويغلب على الظن أنه كان يقوم بالعناية بأخلاقهم وأدابهم وهو ظاهر من التسمية[2].

كما اتخذ الخلفاء الفاطميون لأنفسهم أساتذة يجالسونهم ويذاكرونهم ما يحتاجوه من كتاب ا ، وتجويد الخط، ومعرفة الأحاديث وأخبار الأنبياء والخلفاء، ويختاروا من بين الأساتذة المحنكين[3].

كما أوجد الفاطميون التعليم العسكري المنظم، والذي لم يكن له وجود في مصر قبلهم[4]، وقد عرف بنظام الحجر أو الحجريـة أو صبيان الخاص وصبيان الخاص كما يقول المقريزي : ".. أنه من مات من الأمراء والأخيار، وعبيد الدولة وله ولد فإنه يحمل إلى حضرة الخليفة، ويودع في أماكن مخصوصة ويؤخذ في تعليمه أنواع الفروسية من الرمي وغيره، ويقال لهم صبيان الخاص "[5]. أما صبيان الحجرية فيطلق على تلك الفئة من الجيش الفاطمي التي خضعت لتدريب عسكري دقيق في مرحلة مبكرة من العمر.

وقد أفرد لهم حجر (ثكنات عسكرية) كانت قريبة من باب النصر، ولكل حجرة اسم تعرف به مثل المنصورة والف تحقيق والجديدة، وكان عددهم يناهز الخمسة آلاف نسمة،

---

(1) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، م5، ص (388).

(2) خطاب عطية، التعليم في مصر، ص (83).

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص (87-88).

(4) عبد المنعم ماجد، " التعليم عند الفاطميين" ندوة التربية العربيةالإسلامية، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان، 1989م، ص (260).

(5) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 267، محمد عبد ا العمايرة، الجيش الفاطمي، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1999م، ص (131).

وقسموا إلى ما يشبه الفرق كل فرقة تتكون من مائة وجعل لكل فرقة زمام أو قائد. ويبيت معهم أساتذة وخدام وأطلق لهم كل ما يحتاجوه من الخيل والسلاح[1]، وأعد لهم اصطبل خاص بدوابهم عرف باسم اصطبل الحجرية[2]. فأساس التعليم في هذه الحجر هو الفروسية والرماية، ليكونوا على أهبة الاستعداد في أي وقت[3].

وكان الفاطميون يعهدون إلى المحتسب مهمة مراقبة معلمي الكُتاب وهو الموظف الديني الكبير في الدولة الفاطمية، فكان ينذر معلمي المكاتب أن لا يضربوا الصبيان ضرباً مبرحاً، ولا يكون ضربهم في مقتل، وأن لا يستخدموا الصبيان في حوائجهم [4]، وأن يكون السائق (وهو الشخص المكلف بأخذ الصبيان الصغار يومياً إلى المكتب، وردهم إلى بيوتهم بعد انتهاء الدرس) أميناً، ثقةً متأهلاً لأن يتسلم الصبيان في الغدو والرواح[5].

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، طبعة مصورة عن الطبعة الأميرية، ج3، ص (477)، المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، (ص 309-311).
William James Hamblin, The Fatimid Army During the Early Crusades, The University of Michigan, 1985, P. 42.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص (339)، محمد عبد ا العمايرة، الجيش الفاطمي، ص 133.

(3) عبد المنعم ماجد، " التعليم عند الفاطميين"، ص 261.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص (116-117)؛ الشيزري، نهاية الرتبة، (ص 104)، القابسي، الرسالة المفصلة، (ص 312-313).

(5) الشيزري، المصدر نفسه، ص (104).

2- المساجـــد :

ما أن دخل الفاطميون مصر في سنة 358هـ/968م، حتى بدأوا بنشر دعوتهم الدينية ومذهبهم الجديد الذي كان مخالفاً لمذهب أهل مصر، وكانت المساجد في مصر هي المنبر الأول لإعلان هذا المذهب الجديد فبعد أن دخل القائد جوهر الصقلي إلى مصر، أقام الدعوة للمعز لدين ا الفاطمي في الجامع العتيق، وقطعت الخطبة للعباسيين[1].

ونظراً للمكانة الكبيرة التي يحتلها المسجد كمركز من مراكز الدعوة للمذهب الفاطمي الجديد، ومكاناً للتعليم هذا بالإضافة إلى دوره الديني نجد أن الفاطميين صبوا جل اهتمامهم على المساجد، وكانوا يتعاهدوها بالإنفاق والإصلاح والترميم والتجديد، بالإضافة إلى بناء المساجد التي ارتبط إسمها بالفاطميين كالجامع الأزهر.

ومن أشهر المساجد الموجودة في مصر قبل العصر الفاطمي جامع عمرو بن العاص ويعرف بالجامع العتيق، وتاج الجوامع، وهو أول مسجد أسس بديار مصر بعد الفتح، وبني في مدينة الفسطاط عام 21هـ/641م [2]، وقد كان نصيب هذا الجامع من عناية الفاطميين عظيماً جداً كمسجد للعبادة، ومعهد للدراسة والتعليم[3]، ففي عهد الخليفة الفاطمي العزيز با زاد فيه الوزير يعقوب بن كلاس الفوارة التي تحت قبة بيت المال، وذلك سنة 378هـ/988م[4]. وفي سنة 387هـ/997م، بيض المسجد ونقشت ألواحه وعمل فيه تنور يوقد كل ليلة جمعة[5]، وفي 403هـ/1012م، زمن الحاكم بأمر ا نقِلَ إليه من القصر ألف

---

(1) ابن الأثير، الكامل، مج 8، ص 590.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، مكتبة الآداب، القاهرة، ج4، ص 11؛ السيوطي،حسن المحاضرة، مج2، ص (215).

(3) خطاب عطية، التعليم في مصر، ص(101).

(4) المقريزي، المصدر نفسه، ج4، ص (11).

(5) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج 4، ص 11؛ السيوطي، حسن المحاضرة، مج 2، ص 215.

ومائتان وثمانية وتسعون مصحفاً في أجزاء مختلفة الشكل والحجم مكتوب بعضها بالذهب، وسمح للعامة بالقراءة في هذه المصاحف، كما أنزل إليه تنوراً من فضة من عمل الحاكم بأمر ا [1].

وفي أيام المستنصر أيضاً طرأت تغييرات على المسجد فزيد في المقصورة في شرقيها وغربيها سنة 438هـ/1046م، وعمل له محراب منقوش بعمودي صندل[2].

هذا وقد كان جامع عمرو بن العاص معهداً تعليمياً ضخماً زمن الفاطميين فكان يعج بطلبة العلم والعلماء وحلقات العلم. إذ يورد ناصر خسرو وصفاً له وذلك عند زيارته لمصر سنة 439هـ/1041م، في أيام المستنصر الفاطمي فيقول: " ويقيم بهذا المسجد المدرسون والمقرئون وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة، ولا يقل من فيه في أي وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والكُتاب الذين يحررون الصكوك"[3].

كما يورد لنا المقدسي عند زيارته لمصر أيضاً سنة 375هـ/985م، في عهد العزيز با الفاطمي وصفاً له فيقول : "وهذا الجامع يسمى السفلاني من عمل عمرو بن العاص، وفيه منبر حسن البناء، وفي حيطانه شيء من الفسيفس على أعمدة رخام، أكبر من جامع دمشق، والإزدحام فيه أكثر من الجوامع الستة " [4]، ثم يقول : " وبين العشائين جامعهم مختص بحلق الفقهاء، وأئمة القراءات، وأهل الأدب والحكمة دخلتها مع جماعة من المقادسة فربما جلسنا نتحدث فنسمع النداء من الوجهين دوروا وجوهكم إلى المجلس فننظر فإذا نحن بين مجلسين،

---

(1) الدواداري، كنز الدرر، ج6، ص 285.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج4، ص 12-13؛ السيوطي، المصدر نفسه، مج 2، ص 215.

(3) ناصر خسرو علوي، سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1993م، ص (117).

(4) المقدسي، شمس الدين أبو عبد ا محمد الشافعي، ت 387هـ/997م، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص 199.

على هذا جميع المساجد، وعددت فيه مائة وعشرة مجالس، فإذا صلوا العشاء أقام البعض إلى ثلث الليل. ولا ترى أجلّ من مجالس القُراء به "[1].

أما الجامع الثاني فهو جامع أحمد بن طولون، وقد بناه أحمد بن طولون سنة 263هـ/876م[2]، وقد لقي هذا الجامع نصيباً كبيراً من عناية الفاطميين، فقد حدث في سنة 376هـ حريق أتى على بعض أجزاء هذا المسجد ومن ضمنها الفوارة التي كانت به، فأمر الخليفة الفاطمي العزيز با سنة 385هـ/995م، ببناء فوارة عوضاً عن التي احترقت، كما قام الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر ا بتزويد الجامع بثمانمائة وأربعة عشرة مصحفاً، وهذا ما يدعو إلى الاعتقاد أنه كانت بهذا الجامع دروس ولكنها لم تكن في حجم ولا أهمية الدراسات التي كانت تُعقد في جامع عمرو بن العاص. [3]

إلا أن الفاطميين لم يقنعوا بما في مصر من جوامع قديمة كانت منذ تأسيسها مراكز للمذهب السني، وإنما قام جوهر بإنشاء جامع جديد ليكون مقراً ومركزاً لتعليم فقه المذهب الشيعي[4]، وهو الجامع الأزهر الذي ابتدأ جوهر ببنائه سنة 359هـ/969م، وأكمله سنة 361هـ/971م، وهو أول مسجد أسس بالقاهرة[5]، وكان مسجد الدولة الرسمي والمركز الرئيسي للدعوة الإسماعيلية [6]، ففي أواخر عهد المعز لدين ا جلس قاضي القضاة أبو الحسن علي بن النعمان سنة 365هـ/975م، بالجامع الأزهر وأملى مختصر أبيه في الفقه

---

(1) المقدسي، المصدر نفسه، ص 205.

(2) السيوطي، حسن المحاضرة، مج 2، ص 218.

(3) المقريزي، المصدر نفسه، ج4، ص 40، عبد الغني محمود عبد العاطي التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، دار المعارف، ص 22.

(4) عبد الغني محمود، التعليم في مصر، ص (23).

(5) المقريزي،المواعظ والاعتبار، ج4، ص 49، السيوطي، حسن المحاضرة، مج2، ص 221، ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص 189.

(6) عيسى العزام، " الدولة الفاطمية في عهد المستنصر"، ص 68.

عن آل البيت ويعرف هذا المختصر بالاقتصار في جمع عظيم من الناس[1]. فكانت هذه أول حلقة للدرس بالجامع الأزهر، وكان ابو الحسن علي بن النعمان أول من قام بالتدريس، ثم قام الوزير يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز الفاطمي سنة 378هـ/988م، بسؤال الخليفة (المعز)، في صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفي كل واحد منهم من الرزق، وأمر لهم ببناء دار بجانب الجامع الأزهر، فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع، وتحلقوا فيه بعد الصلاة إلى صلاة العصر، وكان لهم أيضاً من مال الوزير صلة في كل سنة وكان عددهم خمسة وثلاثين رجلاً، وخلع عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحملهم على البغال وذلك احتراماً وتقديراً لهم ولعلمهم[2].

كما كان هذا المسجد مركزاً هاماً لمجالس الحكمة التي كان يعقدها داعي الدعاة وذلك من أجل بث الدعوة الفاطمية فيذكر لنا المقريزي أن داعي الدعاة كان يعقد مجلساً للنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر[3].

وعلى الرغم من الصبغة الدينية التي كانت تغلب على الدراسة في الجامع الأزهر إلا أن هذا لم يمنع من دراسة علوم أخرى فيذكر لنا القفطي وأبن أبي أصيبعة أن أبا علي محمد بن الحسن بن الهيثم كان في العصر الفاطمي الأول يشتغل بالتصنيف والنسخ والإفادة في الجامع الأزهر وكان ابن الهيثم هذا ممن نبغ في دراسة الرياضيات والفلسفة والمنطق والطب

---

(1) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1، ص 276.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج4، ص 49؛ إبن عبد الظاهر، الروضة البهية، ورقة (170)، محمد جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية في مصر (سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها).(د.ط)، دار الفكر العربي، 1966م، ص 174-175.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 226؛ نريمان عبد الكريم أحمد، المرأة في مصر في العصر الفاطمي، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 184.

وغيرها من العلوم العقلية الأخرى، وقد رحل إلى مصر في زمن الحاكم بأمر ا وتوفي سنة 430هـ/1038م أو بعدها بقليل[1].

وعلى الأغلب أن مؤلفات كبار أساتذة هذه الفترة كالحوفي وابن بابشاذ[2]، قد درست بالأزهر.

بالإضافة إلى ذلك يبدو أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين أساتذة المعاهد المختلفة فيذكر لنا المقريزي ضمن أخبار سنة 378هـ/988م أن العزيز الفاطمي خط أساس الجامع الجديد (جامع الحاكم) وتحلق فيه الفقهاء الذين يتحلقون بجامع القاهرة (الأزهر) [3].

واستمرت الخطبة في هذا الجامع إلى أن تم بناء الجامع الحاكمي في سنة 380هـ/995م، حيث صارت الخطبة تقام بانتظام في أربعة مساجد هي جامع عمرو وجامع ابن طولون والجامع الأزهر وجامع الحاكم[4].

وقد اعتنى الخلفاء الفاطميون بهذا المسجد عناية كبيرة، وتعاهدوه بالتجديد والعمارة، ففي سنة 378هـ/988م، جدده العزيز ورتب الأرزاق للأساتذة الذين عهد إليهم بالتعليم

---

(1) القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف، ت(646هـ/1248م)؛ أخبار العلماء بأخبار الحكماء، عنى بتصحيحه السيد محمد أمين الخانجي، دار الكتب الخديوية، مصر (د.ت)، أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص (550)، خطاب عطية التعليم في مصر، ص(115-116).

(2) الحوفي هو أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد كان إماماً في العربية والنحو والأدب وله تصانيف كثيرة انتفع بها أهل مصر ومات سنة 430هـ/1038م، أما ابن بابشاذ فهو أبو الحسن طاهر بن أحمد المصري الجوهري خدم بمصر في ديوان الإنشاء ومن تصانيفه المقدمة وشرحها وشرح الجمل سقط من جامع عمرو بن العاص ومات سنة 469هـ/1076م، السيوطي، حسن المحاضرة، مج1، ص 436.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 302.

(4) السيوطي، حسن المحاضرة، مج 2، ص 221؛ ابن ظهيرة، جمال الدين محمد بن محمد بن نور الدين (ت 986هـ/1578م)، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، دار الكتب، 1969م، ص (183).

فيه[1]، ثم جدده الحاكم بأمر ا ووقف عليه الأوقاف، وجعل فيه تنورين فضة وسبعة وعشرين قنديلاً فضة، ثم جدده الخليفة المستنصر، ثم جدده الظافر وأنشأ فيه مقصورة[2].

وسيتعرض الفصل الأخير للحديث عن الإنفاق على الجوامع والمساجد في العهد الفاطمي، وطلاب العلم في هذه المساجد.

ومن الجوامع الأخرى التي بنيت في العهد الفاطمي جامع الحاكم وأول من أسسه العزيز با الفاطمي ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر ا سنة 396هـ /1005م، ويقال له الجامع الأنور، وحبس الحاكم عليه عدة قياسر وأملاك للإنفاق عليه[3]. وجامع راشدة[4] وبناه الحاكم بأمر ا سنة 393هـ/1002م[5].

كما بنى جامع المقس على شاطيء النيل، ووقف عليه أيضاً الأوقاف[6]، والجامع الأقمر وبناه الآمر بأحكام ا بوساطة وزيره المأمون بن البطائحي، وأكمل بناؤه في 519هـ/1125م، والجامع الظافري أو الأفخر كما في رواية السيوطي وهو الجامع المعروف بجامع الفكاهيين، وبناه الخليفة الفاطمي الظافر سنة 534هـ/1139م[7].

كما كان للوزراء الفاطميين دور كبير في العناية بالمساجد وعمارتها وتجديدها، فيذكر ابن ميسر أن الوزير الأفضل (أبو القاسم شاهنشاه وزير المستنصر) قد بني في أيامه كثيراً من

---

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج4، ص (49).
(2) السيوطي، حسن المحاضرة، مج2، ص221.
(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 360؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج4، ص 55؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص 198؛ السيوطي، حسن المحاضرة، م2، ص 222.
(4) راشدة كانت قبيلة من قبائل العرب من بني لخم نزلوا هناك فسمي الجامع براشدة مضافاً للقبيلة التي نزلت هناك، ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص 197.
(5) ابن الأثير، الكامل، م9، ص 316-317؛ الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد، ص 63.
(6) السيوطي، حسن المحاضرة، مج2، ص 222.
(7) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 361؛ السيوطي،المصدر نفسه، ص م2، ص 223.

المساجد والجوامع، ومنها جامع الفيلة.. والمسجد الذي على جبل المقطم المعروف بالجيوش، وبنى المأذنة الكبيرة بجامع عمرو بن العاص، والمأذنة السعيدية، والمأذنة المستجدة به أيضاً، وجامع الجيزة[1].

كما يذكر ابن ميسر في أخبار سنة 515هـ/1121م، أن المأمون البطائحي وزير الآمر قد عمر الجامع الأقمر، وكان مكانه دكاكين علافين[2].

وضمن أخبار سنة 516هـ/1122م، يقول : " وفي ربيع الاول أقر المأمون(البطائحي) وكيله الشيخ أبو البركات محمد بن عثمان أن يتوجه إلى المساجد السبعة التي بين الجبل والقرافة وأولها مشهد السيدة زينب، وآخرها مشهد السيدة كلثوم، ويجدد عمارتها، ويصلح ما تهدم فيها،ويجعل على كل مشهد لوحاً من رخام عليه إسمه وتاريخ تجديده، فمدحه الشعراء قصائد عند فراغ العمارة"[3].

كما بنى الملك الصالح طلائع بن رزيك وزير الخليفة الفائز جامع الصالح خارج باب زويله[4]، هذا وقد كان يعين لكل مسجد خطيب وإمام ومؤذنين وفراشين [5].

---

(1) ابن ميسر، المنتقى، ص 84-85.
(2) ابن ميسر، المنتقى، ص 91.
(3) المصدر نفسه، ص (91).
(4) السيوطي، حسن المحاضرة، م2، ص 223؛ ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ورقة 151.
(5) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص199.

3- دار الحكمـ ـة:

أنشأها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر ا سنة 395هـ/1005م، في القاهرة على مثال بيوت العلم في بغداد وقرطبة[1]، وأفرد لها داراً كبيرة بجوار القصر الغربي، وعنى بتأثيثها وزخرفتها عناية فائقة، ففرشت وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور [2]، وأقيم قوام وخدام وفراشون فيها لخدمتها [3]، وجعل فيها ما يحتاج إليه المترددون من الحبر والأقلام والورق والمحابر[4].

وألحق بها مكتبة عظيمة أطلق عليها اسم دار العلم حملت إليها الكتب من خزائن القصور المعمورة في شتى العلوم والآداب ما لم يجتمع مثله في أية مكتبة أخرى معاصرة [5]، وقرر فيها خزاناً وبوابين، وأجرى عليهم الأرزاق، وفتحت للناس من أجل النسخ من كتبها أو القراءة فيها[6].

ومن الجدير بالذكر أن المصادر تذكرها أحياناً باسم دار الحكمة وفي بعض المصادر الأخرى تسميها دار العلم، وهما اسمان لنفس الدار التي أنشأها الحاكم بأمر ا في القاهرة، وليس لشيئين منفصلين.

---

(1) الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد، ص 68؛ المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص 344.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 362؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 334.

(3) المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص 334.

(4) الصنهاجي، المصدر نفسه، ص 68-69؛ المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1،ص 359؛ المواعظ والاعتبار، ج2. ص 334، محمد عبد ا عنان، الحاكم بأمر ا وأسرار الدعوة الفاطمية، ط 2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ص263، 1959م.

(5) الصنهاجي، المصدر نفسه، ص 68-69؛ الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ج1، ص 258-259، المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1، ص 359.

(6) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 359؛ المواعظ والاعتبار، ج2، ص 334.

هذا والتحق بهذه الدار الفقهاء والقراء والنحاة وغيرهم من أرباب العلوم والأطباء[1]، وفتحت لسائر الناس على طبقاتهم فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلم[2].

وأجرى الحاكم ومن جاء بعده من الخلفاء على الدار وموظفيها، ومن فيها من الفقهاء الأرزاق السنية[3].

وفي سنة 403هـ/1012م، أحضر الحاكم جماعة من دار العلم من أهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء، ومنهم عبد الغني بن سعيد وجماعة من الأطباء وتناظرت كل طائفة منهم بين يديه، ثم خلع على الجميع، ووقف الحاكم بأمر ا أماكن في الفسطاط على دار العلم وضمنها كتاباً ثبت على قاضي القضاة[4].

وأسندت نظارة دار العلم والإشراف عليها إلى داعي الدعاة في الدولة الفاطمية[5]، وله مجالس مستمرة فيها، حيث يحضر إليه فقهاء الشيعة بدار العلم، ويتفقون على دفتر يقال له مجلس الحكمة يقرأ في كل يوم إثنين وخميس [6]، وهي مجالس في العقائد الإسماعيلية، وأحياناً كان يعهد إلى القاضي بتدريس دار العلم مثلما حدث مع القاضي هبة ا بن حسن الأنصاري الأوسي المعروف بابن الأزرق سنة 534هـ/1139م، وكان المدرس فيها قبله أبو الحسن علي بن إسماعيل مما أدى إلى الخصام بينهما[7].

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 359؛ المواعظ والاعتبار، ج2، ص 334.
(2) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ج1، ص 258-259؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 334.
(3) الأنطاكي، المصدر نفسه، ج1، ص 258-259؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص334.
(4) المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص 335.
(5) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 362-363.
(6) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص 344.
(7) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1، ص 251.

وكانت الحلقات الدراسية في دار الحكمة كثيرة ومتنوعة فشملت إلى جانب العلوم الدينية علوم الفلك والفلسفة المنطق واللغة والطب[1]، ورتب فيها أساتذة لتدريس الناس العلوم[2].

وممن قام بالتعليم في هذه الدار علي بن يونس المنجم ت 399هـ/1008م، وكان عالماً في علم النجوم والحساب وألف للحاكم الزيج الكبير المعروف بالحاكمي[3].

وقد بقيت هذه الدار مفتوحة حتى سنة 516هـ/1122م،[4] حيث نمى إلى الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي وزير الآمر بأحكام ا أن رجلين يعتنقان عقائد الطائفة المعروفة بالبديعية والتي يدين أشياعها بمذاهب السنة الثلاثة، وهي الشافعي والحنفي والمالكي يترددان على دار الحكمة، وأن كثيراً من الناس أصغوا إليهما، واعتنقوا مذهبيهما فأمر الأفضل بإغلاقها[5]، وبعد وفاة الأفضل أصدر الخليفة الآمر الأمر بإعادة دار العلم على ما كانت عليه، واشترط أن يكون متوليها رجلاً ديناً وداعي الدعاة هو الناظر فيها، فأعيدت سنة 517هـ/1123م، بعد أن نُقلت إلى دار جديدة بجوار القصر الكبير الغربي، وأقيم فيها متصدرون برسم قراءة القرآن، ولم تزال عامرة حتى زالت الدولة الفاطمية[6].

---

(1) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ج1، ص 258-259، المقريزي، المصدر نفسه، ج1، ص 359.

(2) الأنطاكي، المصدر نفسه، ج1، ص 258-259.

(3) القفطي، أخبار الحكماء، ص 155.

(4) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 335.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 362-363؛ ابن ميسر المنتقى، ص 95.

(6) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، مخطوطة المتحف البريطاني، رقم 1337، نسخة مصورة بالميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، رقم الشريط (4)، ورقة 152، المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 336-337؛ خطاب عطية، التعليم في مصر، ص (155).

4- المكتبـــات:

حرص الخلفاء الفاطميون على اقتناء الكتب؛ لا سيما أن معظمهم كان له اهتمام كبير بالعلوم وبخاصة العلوم الدينية، ذلك أنهم دعاة مذهب جديد، والوسيلة إلى نشره هي المناقشة والمناظرة والإقناع بأحقية الفاطميين في الخلافة، ولا شك أن الكتب هي الوسيلة الفعالة والأداة القوية لنشر علوم مذهبهم ودراسته بين الناس عامة وطلاب العلم خاصة(1). وهي بالإضافة إلى ذلك دليل واضح على مقدار العلم والتعليم في ذلك العصر، وانتشار الآداب والعلوم، فنجد الخلفاء الفاطميين حريصين على جمع أكبر عدد من الكتب والحصول على أندر المؤلفات في جميع العلوم(2). فيذكر المقريزي أنه ذُكر عند العزيز با الفاطمي كتاب العين للخليل بن أحمد،فأخرج منه نيفاً وثلاثين نسخة من خزائنه منها واحدة بخط الخليل بن أحمد مؤلفها، كما حمل إليه رجل نسخة من تاريخ الطبري اشتراها بمائة دينار، وأمر الخزان فأخرجوا من خزائنه عشرين نسخة منها نسخة بخط محمد بن جرير، كما ذكرت عنده جمهرة ابن دريد فأخرج منها مائة نسخة(3). وقد تركزت هذه الكتب بالخزائن الموجودة بالقصر، وخزائن دار العلم والمارستان، كذلك وجد بعضها بالمساجد(4).

وقد عدت مكتبة القصر من مفاخر الفاطميين فقد تميزت عن جميع مكتبات العالم الإسلامي في ذلك الوقت(5).

---

(1) عبد الغني، محمود، التعليم في مصر، ص 33.

(2) خطاب عطية، التعليم في مصر،ص 189.

(3) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1، ص 309.

(4) عبد الغني محمود، المرجع نفسه، ص 33.

(5) محمد كامل حسين، في أدب مصر، ص 46.

وتمدنا المصادر بوصف لهذه الخزانة فيذكر لنا إبن الطوير أنها كانت في إحدى مجالس البيمارستان يعني المارستان العتيق، وتحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف، والرفوف مقطعة بحواجز، وعلى كل حاجز باب متقن بمفصلات وقفل، وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات، ويسير من المجردات فمنها في الفقه على سائر المذاهب، والنحو واللغة، وكتب الحديث النبوي والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات، والكيمياء، من كل صنف النسخة والعشرة، ومنها النواقص ما تممت، كل ذلك تترجمه ورقة ملصقة على باب كل خزانة وما فيها، والمصاحف الكريمة في كل مكان فيها، وفيها من الدروج[1] بخط ابن مقلة ومن يليه ومن يماثله كابن البواب وغيره[2]. ويتضح من كلام ابن الطوير أن الفاطميين عرفوا الفهارس في مكتباتهم.

كما يورد لنا الرشيد بن الزبير وصفاً لخزانة الكتب في القصر فيقول : " وإن عدة خزائن الكتب أربعون خزانة، من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب في العلوم القديمة، وأن الموجود فيها من جملة الكتب ألفان وأربع مئة ختمة قرآن في ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة وغيرهما، هذا سوى ما كان في خزائن دار العلم بالقاهرة "[3].

وكثيراً ما كان الخليفة الفاطمي يزور خزانة الكتب فيجيء راكباً ثم يترجل ويتخذ مجلسه فوق دكة منصوبة، ويمثل بين يديه أمين المكتبة، ويحضر إليه المصاحف المكتوبة

---

(1) الدرج بسكن الراء وفتحها الذي يكتب فيه ومنه قولهم أنفذته في درج كتابي بسكون الراء أي طيه. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت (660هـ-1261م). مختار الصحاح، تحقيق يحيى خالد توفيق، مكتبة الآداب،القاهرة، 1998، ص 202.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص (27).

(3) الرشيد بن الزبير، (ت 5هـ/11م)، الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد ا ، الكويت، 1959م، ص (262).

بأقلام مشاهير الخطاط، وغير ذلك من الكتب مما يقترحه الخليفة فإن عن له أخذ شيء منها للمطالعة ثم يعيده[1].

وكان الفاطميون يستخدمون الموظفين في المكتبة ففيها النُساخ والفراشون[2]. وقد وصفها المقريزي أنها من عجائب الدنيا، وأنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم منها [3].

لكن هذه الكنوز العلمية من نفائس الكتب التي حافظ عليها الفاطميون في قصورهم أصابها ما أصاب الفاطميين أنفسهم، وكان ابتداء هذه المحنة التي نُكِبت بها مكتبات القصر إبان الشدة العظمى التي حلت بالبلاد أيام المستنصر با الفاطمي، ويصور المقريزي هذه المحنة فيقول : " وأخرج من خزائن الكتب ثمانية عشر ألف كتاب في العلوم القديمة، وألفان وأربعمائة ختمة في ربعات بخطوط منسوبة محلاة بذهب وفضة، وأخذ جميع ذلك الأتراك ببعض قيمته، وأخرج في المحرم منها (461هـ/1068م) في يوم واحد خمسة وعشرون جملاً موقرة كتباً صارت إلى دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر،واقتسمها هو والخطير بن الموفق في الدارين بخدمات وجبت لهما عما يستحقانه، وغلمانهما من ديوان الحلبيين، وأن حصة الوزير أبي الفرج قومت عليه بخمسة آلاف دينار، وكانت تساوي أكثر من مائة ألف دينار "[4].

".. وأخرج ما في خزائن دار العلم بالقاهرة، وصار إلى عماد الدولة أبي الفضل بن المحترف بالاسكندرية كثير من الكتب، ثم انتقل منها كثير بعد مقتله إلى المغرب وأخذته لواتة فيما صار إليها بالابتياع أو الغصب من الكتب الجليلة المقدار ما لا يعد ولا يوصف، فجعل

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 126-127. محمد جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية، ص 175.
(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2،ص 255.
(3) المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص 255.
(4) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، 126-127.

عبيدهم وإماؤهم جلودها في أرجلهم، وأحرق ورقها تأولاً منهم أنها أخرجت من القصر وأن فيها كلام المشارقة الذي يخالف مذهبهم، فصار رمادها تلالاً عرفت في نواحي أبيار بتلال الكتب،وغرق منها وتلف، ووصل إلى الأمصار مما يتجاوز الوصف"[1]. كما يذكر في موضع آخر أن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد، وباع أبو صورة دلال الكتب منها جملة في عدة أعوام [2].

هذا ولم يكن اهتمام الوزراء الفاطميين بالكتب بأقل من خلفائهم، فيذكر لنا المقريزي قصة عن الوزير المأمون البطائحي تنم عن مدى اهتمام الوزراء الفاطميين بالعلم والعلماء والكتب وهي أن الوزير المأمون قد قرر للشيخ أبي جعفر يوسف بن أحمد بن حسدية بن يوسف الإسرائيلي – لما قدم من الأندلس – وصار ضيف الدولة جار وكسوة شتوية وعيدية ورسوم واقطعه داراً بالقاهرة وكتب له منشوراً بموجبه كلف الوزير بن حسدية بشرح كتب أبقراط التي هي أشرف كتب الطب وأوفاها، والتصنيف في غير ذلك من العلوم، وأن يحمل ما يكمل أولاً إلى خزائن الكتب وإقراء جميع من يحضر إليه من أهل هذه الصناعة، فانتصب ابن حسدية لطالبي علم الطب وأقبل الأطباء إليه واجتمع في أيدي الناس مما يمليه الكثير وجعل له يومين في الجمعة يشتغل فيهما، أما باقي الأسبوع فينصرف فيه إلى التصنيف، وحمل ذلك إلى الخزائن، واستخدم كاتبين لتبييض ما يؤلفه[3].

---

(1) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص 126-127.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2،ص 255.

(3) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص 203-204؛ محمد حمدي المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي (د. ط)، دار المعارف، مصر، ص 107.

كما يذكر المقريزي ضمن أخبار سنة 506هـ/1112م " ووصل يانس الناسخ من الشام فاستخدم في خزانة الكتب الأفضلية بعشرة دنانير في الشهر وثلاث رزم كسوة في السنة، والهبات والرسوم "[1].

كما ينقل المقريزي عن ابن ميسر أن الخليفة الآمر أقام في دور الأفضل بن بدر الجمالي مدة أربعين يوماً والكتاب بين يديه يكتبون ما ينقل إلى القصور فوجد له من الذخائر النفيسة ما لا يحصى،ومن ضمنها دواية يكتب فيها مرصعـة بالجوهر قوم جوهرها باثني عشر ألف دينار، وخمسائة ألف مجلدة من الكتب العلمية [2]

ويذكر ابن خلكان ان الوزير يعقوب بن كلس كان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والأدب، ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقطونها.[3]

---

(1) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1،ص 174.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 187؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 79-80؛ محمد حمدي المناوي، الوزارة والوزراء، ص 106.

(3) ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ/1382م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ج3، ص 429؛ محمد حمدي المناوي، الوزارة والوزراء، ص 106.

خامساً: القصـ ـ ـ ـ ـور :

كانت قصور الفاطميين عامرة بمجالس العلم والأدب والمناظرة وساعد على ذلك شغف الخلفاء الفاطميين أنفسهم بالعلم والأدب فيذكر لنا الصنهاجي أن الخليفة الفاطمي العزيز با كان أديباً يقرض الشعر[1].

كما يذكر المقريزي أن الحاكم كان يحب العلم ويقدم ما يرد فيه[2]، وأن المعز لدين ا كان عالماً فاضلاً وكان مغرماً بعلم النجوم[3]، ويذكر لنا الداعي إدريس أن المعز كان مبرزاً في فنون العلم بالغاً منه مبلغاً يقصر عنه أولو الفهم[4].

وعند ذكر وفاة الخليفة الفاطمي المستظهر سنة 512هـ/1118م، يقول إبن الأثير : "وكان حسن الخط جيد التوقيعات لا يقاربه فيها أحد مما يدل على فضل غزير وعلم واسع.."[5].

ويذكر لنا القاضي النعمان بن محمد قصة تظهر إهتمام الفاطميين الشديد بالعلم وذلك أن الإمام المهدي أول أئمة الفاطميين، قد تعرض للسرقة وهو في طريقه من مصر متوجهاً إلى سجلماسة، وكان أعظم ما ذهب له كتب كانت فيها علوم الأئمة، فلما خرج القائم بأمر ا في غزوته الأولى لمصر سنة 301هـ/913م، استرجع الكتب التي سرقت وكان المهدي يقول : لو لم تكن هذه الغزوة إلا لرد هذه الكتب لكان ذلك فتحاً عظيماً وسر باسترجاعها سروراً عظيماً[6].

---

(1) الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد، ص (56).
(2) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1، ص (399).
(3) المقريزي، المصدر نفسه، ج1، ص (279-280).
(4) القرشي، تاريخ الدولة الفاطمية، ص (577).
(5) ابن الأثير، الكامل، مج10، ص 536.
(6) ابن حيون، رسالة افتتاح الدعوة، ص 151.

وليس أدل على ذلك من المجالس التي كان يعقدها الخلفاء الفاطميون في قصورهم للبحث والمناظرة، وكان يجتمع إليها الأدباء والشعراء والعلماء وكانت هذه المجالس تعقد بالدرجة الأولى لشرح الفقه الإسماعيلي والدعوة له، وهو ما عرف بمجالس الحكمة فيذكر المقريزي أن القاضي محمد بن النعمان جلس على كرسي بالقصر لقراءة علوم آل البيت،وحضره الناس فمات في الزحام أحد عشر رجلاً[1].

وكانت تعقد هذه المجالس للرجال والنساء على حد سواء، فكان الرجال يتلقون الدرس بالإيوان الكبير بالقصر، أما النساء ففي مجلس الداعي - بالقصر أيضاً - وكان من أعظم المباني وأوسعها[2]. وكان يؤم هذه المجالس الخاصة شيوخ الدولة، وخدم القصر، والطارئون على مصر وعامة الناس[3]. وكانت هذه المجالس تتم بأمر الخليفة الفاطمي فيذكر القاضي محمد بن النعمان أن المعز لدين ا أخرج له كتباً من علم الباطن وأمره أن تقرأ على الأولياء في كل يوم جمعة في مجلس في قصره[4]، وكانت هذه الدروس الخاصة تعرض قبل إلقائها على الخليفة فيقرها ويذيلها بإمضائه[5].

وبالإضافة إلى مجالس الحكمة التي كانت تعقد بالقصر أولى الخلفاء الفاطميون ديوان الإنشاء جل عنايتهم وهو الديوان المسؤول عن المراسلات والسجلات الصادرة عن القصر الفاطمي، فحرص الفاطميون على اختيار كتّابه من بين أماثل العلماء وبلغائهم، فكان ديوان الإنشاء يعد بمثابة مدرسة بالقصر تعلم فن الكتابة والأدب[6]. وقد وضع لنا على بن منجب

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 314.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 226.

(3) المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص 226.

(4) القرشي، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 556-557.

(5) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 226.

(6) خطاب عطية، التعليم في مصر، ص 182-183؛ محمد عبد ا عنان، الحاكم بأمر ا ، ص 334.

الصيرفي الذي تولى رئاسة ديوان الإنشاء الفاطمي في عهدي الخليفة الآمر بأحكام ا والخليفة الحافظ لدين ا الفاطميين، كتاباً يتناول الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يتولى ديوان الإنشاء، ومنها أن يكون ذا دين وورع وأمانة، وأن يكون دينه الإسلام، وأن يكون من البلاغة والفصاحة إلى أعلى مرتبة وأسنى منزلة، وأن يكون مضطلعاً بفنون الكتابة عالماً بأصولها وفصولها، وأن يكون حافظاً لكتاب ا ولأخبار الرسول والأئمة من ذريته، وأن يكون راوياً لأخبار الملوك وأيام العرب ووقائعهم وأخبار العجم وسائر الأمم، وأن يكون حافظاً للأشعار.. الخ[1].

كما كانت قصور الوزراء الفاطميين أيضاً مجالس يجتمع فيها العلماء والأدباء والشعراء، فيذكر المقريزي أن الوزير الفاطمي اليازوري كانت له مائدة يحضرها كل قاضٍ فقيه، وأديب جليل القدر فإذا قدمت فكأنها الرياض من حسنها وسعة نفسه، وكان الملازمون لمائدته نحو العشرين نسمة فيكون عليها كأحدهم[2].

كما يذكر ضمن مآثر الوزير الصالح بن رزيك : " فلم تكن مجالس أنسه تنقضي إلا بالمذاكرة في أنواع العلوم الشرعية والأدبية، وفي مذاكرة وقائع الحروب مع أمراء دولته.. وكان شاعراً يحب الأدب وأهله ويكثر من جليسه ويبسط من أنيسه.. وصنف كتاباً سماه الاعتماد في الرد على أهل العناد، وله قصيدة سماها الجوهرية في الرد على القدرية[3]. كما يقول عنه أيضاً أنه كان ينفق على أهل العلم ويرسل إليهم العطايا الكثيرة فبلغه أن أبا محمد بن الدهان النحوي البغدادي المقيم بالموصل قد شرح بيتاً من شعره وهو :

---

(1) الصيرفي، أمين الدين أبوالقاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب (ت 542هـ/1147م)، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1990م،ص 8-11.

(2) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1، ص 87.

(3) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص (293).

تجنب سمعي ما يقول العواذل وأصبح لي شغل من الغزو شاغل

فجهز له هدية ليرسلها إليه فقتل قبل إرسالها، ثم يقول : وكان وافر العقل رضي النفس بصيراً بالتجارب عالماً بأيام الناس بصيراً بالعلوم الأدبية[1].

ويذكر ابن ميسر أن الوزير الأفضل الجمالي كان يقول الشعر وكان عدة الوعاظ والقراء والمنشدين عند عزائه أربعمائة وعشرين شخصاً[2].

ويذكر لنا ابن الأثير أن الوزير بدر الجمالي كان يقصده أشراف الناس وكبرائهم وشعرائهم وكان يهتم بالشعراء ويخلع عليهم، ويأمر لهم بالأموال[3].

ويذكر ابن خلكان ان الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس كان يحب العلم ويجمع عنده العلماء ورتب لنفسه مجلساً في كل ليلة جمعة يقرأ فيه بنفسه مصنفاته على الناس، ويحضره الفقهاء والقضاة والقراء والنحاة، وجميع أرباب الفضائل وأعيان العدول، وغيرهم من وجوه الدولة وأصحاب الحديث، فإذا فرغ من مجلسه قام الشعراء ينشدونه المدائح، وكان في داره قوم يكتبون القرآن، وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والأدب حتى الطب، ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقطونها، وكان من جملة جلسائه الحسين بن عبد الرحيم المعروف بالزلازلي مصنف كتاب الأسجاع، ورتب في داره القراء والأئمة يصلون في مسجد إتخذه في داره، وأقام في داره مطابخ لنفسه ولجلسائه.. وكانت هيبته عظيمة، وجوده وافراً، وأكثر الشعراء من مدحه وصنف ابن كلس كتاباً في الفقه مما سمعه من المعز وولده العزيز وجلس في شهر رمضان سنة 369هـ/979م، مجلساً حضره العام والخاص، وقرأ فيه الكتاب بنفسه

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص (291).

(2) ابن ميسر، المنقى، ص (86).

(3) ابن الأثير، الكامل، م10، ص (235-236).

على الناس،وحضر هذا المجلس الوزير أبو الفضل ابن الفرات، وجلس في الجامع العتيق جماعة يفتنون الناس من هذا الكتاب". [1]

سادساً: المـــدارس :

استمرت المؤسسات التربوية في الدولة الفاطمية تحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها، وعلى رأسها نشر المذهب الإسماعيلي، وإذا تركنا القاهرة التي تمثل مركز الدعوة الشيعية وحاضرة الخلافة الفاطمية وجدنا بلدا مثل الإسكندرية لم تتأثر كثيراً بهذه الدعوة، ولم تكن السلطة فيها من القوة أو الشدة كالتي شهدتها القاهرة. فكان موقعها الجغرافي على ساحل البحر المتوسط شمال غرب مصر مما جعلها مركزاً لتجمع الحجاج المغاربة الذين يفدون إليها من المغرب الإسلامي والأندلس لأداء فريضة الحج، ولكثير من العلماء والدارسين الذين كانوا يرحلون في طلب العلم إلى المشرق الإسلامي، خاصة في الوقت الذي بدأت تظهر ملامح النهضة العلمية متمثلة في إنشاء المدارس التي أقامها نظام الملك الوزير السلجوقي في العراق، أو لسماع الفقه والحديث في الأراضي المقدسة سواء بالحجاز أو بيت المقدس[2].

يضاف إلى ذلك وضع الاسكندرية كميناء تجاري هام يسيطر على تجارة الشرق، ويفد إليه الكثير من التجار من مختلف الجنسيات سواء من الشرق أو الغرب الأوروبي فكان لمركزها التجاري ونشاط المعاملات التجارية بها أثرهما في تسامح أهلها، كما كان لبعدها عن العاصمة وما يجري فيها من منافسات بين الأمراء والوزراء حول السلطة أثره في عدم انتشار المذهب الشيعي، وبقاء كثير من أهلها على مذاهبهم السنية وخاصة مذهب الإمام مالك، الذي كانت له بالإسكندرية قاعدة راسخة، ونتج عن هذا الوضع الفريد لمدينة الإسكندرية أن بدأت

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3،ص (428)

(2) عبد الغني محمود، التعليم في مصر، ص 30.

تظهر فيها ملامح علمية وتعليمية اختلفت اختلافاً كلياً عن نظام التعليم الذي تتبناه الدولة[1]، وتمثل ذلك بظهور المدارس السنية فيها، بسبب انتشار المذهب المالكي بين أهالي الاسكندرية.

وأولى هذه المدارس هي مدرسة الطرطوشي، وتنسب إلى محمد بن الوليد الفهري الأندلسي المعروف بابن أبي رندقة، ولد ببلدة طرطوشة من بلاد الأندلس، وانتقل منها في طلب العلم إلى غيرها من بلاد الأندلس ثم رحل إلى المشرق وتتلمذ على فقهاء المدرسة النظامية ومعظمهم من الشافعية على الرغم من أنه مالكي المذهب، ثم رحل إلى الشام وأقام بها مدة لازم فيها التدريس، ثم رحل إلى مدينة الاسكندرية، فدخلها في أعقاب فتنة الوزير الأفضل بن الجمالي سنة 487هـ/1094م، والتي انتهت بقتل عدد من علمائها فوجد البلد عاطلاً عن العلم فأقام بها وبث علماً جماً وكان يقول: إن سألني ا تعالى عن المقام بالإسكندرية لما كانت عليه في أيام الشيعة العبيديين من ترك إقامة الجمعة وغير ذلك من المنكرات التي كانت في أيامهم أقول وجدت قوماً ضلالاً فكنت سبب هدايتهم[2].

وذاع صيته في الإسكندرية واشتهر وقصده الطلاب والعلماء، ولكن الوزير الأفضل لم يتركه وشأنه بل أخرجه من الإسكندرية، وألزمه الإقامة بمدينة الفسطاط، ومنعه من التدريس ومنع الناس من الأخذ عنه[3]. وبعد مقتل الأفضل وتولي المأمون البطائحي الوزارة أكرم الشيخ وعظمه، وسمح له بالعودة إلى الإسكندرية حيث استأنف بها نشاطه العلمي والأدبي، ثم صنف للبطائحي كتاب سراج الملوك[4].

---

(1) عبد الغني محمود، التعليم في مصر، ص 30.

(2) ابن فرحون، ابراهيم بن علي بن محمد، (ت799هـ/ 1396م)، الديباج المذهب، ط1، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2003م، مج2، ص 228.

(3) السيوطي، حسن المحاضرة، مج1، ص 377؛ ابن فرحون، الديباج، مج2، ص 226.

(4) السيوطي، حسن المحاضرة، مج1، ص 377؛ ابن فرحون، الديباج، مج2، ص 227.

وكان الطرطوشي قد تزوج بالإسكندرية من امرأة ذات ثراء فحسنت أحواله ووهبت له داراً كبيرة فاتخذ الدور العلوي سكناً له أما الدور السفلي فقد جعلها مدرسة للطلبة ولازم التدريس فيها، وتفقه عنده جماعة من الاسكندرانيين[1].

وكان للشيخ الطرطوشي طريقة فريدة في إلقاء دروسه. إذ كان يصحب طلابه في رحلات خارج المدينة فيقول ابن فرحون: " وذكر أن الطرطوشي كان صاحب نزهة مع طلبته، في أكثر الأوقات يخرج معهم إلى البستان فيقيمون الأيام المتوالية في فرجة، ومذاكرة، ومداعبة مما لا يقدح في حق الطلبة بل يدل على فضلهم، وسلامة صدورهم"[2]. وقد استهوت هذه الطريقة عدداً كبيراً من الطلبة الذين أقبلوا على دروسه حتى وصل عددهم إلى ثلاثمائة وستين طالباً على حسب رواية ابن فرحون، ومن أشهر تلاميذه أبو عبد ا بن عبد الرحمن التجيبي، واستمر الطرطوشي مقيماً بالاسكندرية ملازماً مدرسته ودروسه إلى أن توفي في سنة 525هـ/1130م، فقام سند بن عنان أحد تلامذته لإكمال رسالة شيخه وكان فقيهاً فاضلاً وانتفع الناس به وظل ابن عنان يدرس في هذه المدرسة إلى أن توفي سنة 541هـ/1146م[3].

أما المدرسة الثانية فهي مدرسة ابو الطاهر بن عوف، وهو أحد تلامذة الطرطوشي النابهين وهو إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن إسماعيل بن عيسى بن عوف،وقد كان إمام عصره، وفريد دهره في الفقه على مذهب مالك ،وقد تفقه ابن عوف على يد الطرطوشي وأخذ عنه في شتى العلوم[4]، وقد بنى الوزير الفاطمي رضوان بن ولخشي هذه المدرسة لتدريس المذهب

---

(1) ابن فرحون، الديباج، مج2، ص 226-227.

(2) المصدر نفسه، مج2، ص 227.

(3) المصدر نفسه، مج1، ص 349-351.

(4) ابن فرحون، الديباج، مج1، ص 257-259.

المالكي، وقرر في تدريسها الفقيه ابن عوف سنة 532هـ/1137م[1]، وقد أورد القلقشندي نص السجل الخاص بإنشاء هذه المدرسة وجاء فيها : " ولما انتهى إلى أمير المؤمنين ميزة ثغر الإسكندرية - حماها ا تعالى – على غيره من الثغور، فإنه خليق بعناية تامة لا تزال تتجدد عنده وتغور : لأنه من أوفى الحصون والمعاقل.. وهو يشتمل على القراء والفقهاء، والمرابطين والصلحاء، وأن طالبي العلم من أهله ومن الواردين إليه، والطارئين عليه، مشتتو الشمل، متفرقو الجمع، أبى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين متلددين، ولم يرض لهم أن يبقوا مذبذبين متبددين وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس بشارع المحجة مناً عليهم وانعاماً، ومستقراً لهم ومقاماً، ومثوى لجميعهم ووطناً..[2] "، وقد سميت هذه المدرسة بالحافظية نسبة إلى الخليفة الفاطمي الحافظ لدين ا الذي انشئت في عهده.

وقد اشتملت المدرسة على مساكن للطلاب لكي تكون " محلاً لكافتهم وسكناً " [3]، وأن يطلق لهم من ديوان الخليفة مؤونتهم وما يقوم بأودهم ويعينهم على التفرغ للدراسة من عيش وغلة فورد في السجل : "... أن يكون ما ينصرف إلى مئونة كل منهم والقيام بأوده، وإعانته على ما هو بسبيله وبصدده : من عين وغلة، مطلقاً من ديوانه.."[4]، كما يعطينا السجل صورة عن مكانة أبي الطاهر بن عوف العلمية، وأنه بسببها قد اختير لتدريس هذه المدرسة.

---

(1) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص 267؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 130؛ أيمن فؤاد سيد، " المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي"،أبحاث ندوة المدارس في مصر الإسلامية، أعدها للنشر عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ص 117-118.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 458.

(3) القلقشندي، المصدر نفسه، ج1، ص 458.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، م10، ص 459.

"واستقرت التقدمة في هذه المدرسة لك أيها الفقيه الرشيد.. لنفاذك واطلاعك، وقوتك في الفقه واستضلاعك، ولأنك الصدر في علوم الشريعة"[(1)].

أما المواد التي درست بهذه المدرسة فقد كانت خاصة بعلوم الشريعة كما حددها السجل:".. وأمر أمير المؤمنين أن تدرس علوم الشريعة للراغبين،وتعلم ما علمك ا إياه لمن يريد ذلك من المؤثرين والطالبين "[(2)]، ثم يقرر السجل أن يقوم الموظفون بالثغر برعاية المدرسة وطلبة العلم النازلين فيها، والاهتمام بمصالحهم، وان يتلى هذا المنشور بالمسجد الجامع وأن يحفظ السجل بالمدرسة وذلك لحمايتهم من سطوة أي من متطرفي الأمراء والوزراء الفاطميين[(3)].

وقد استمرت هذه المدرسة قائمة بالإسكندرية حتى نهاية الدولة الفاطمية ، وقد حظي ابن عوف بمكانة كبيرة عند صلاح الدين الأيوبي وتوفي سنة 581هـ/1185م[(4)].

أما المدرسة الثالثة التي أقيمت بالاسكندرية فهي مدرسة الحافظ السلفي وهو أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمد الأصفهاني[(5)]، وكان شافعي المذهب[(6)]، وهو أحد الحفاظ المكثرين، رحل في طلب الحديث، ودخل ثغر الاسكندرية سنة 511هـ/1117م، وأقام بها وقصده الناس من الأماكن البعيدة، وسمعوا عليه وانتفعوا به [(7)] فبنى له الوزير العادل بن السلار – وزير

---

(1) المصدر نفسه، مج10، ص 459.

(2) المصدر نفسه، مج10، ص 459.

(3) المصدر نفسه، مج10، ص 459؛ عبد الغني محمود، التعليم في مصر، ص 34.

(4) ابن فرحون، الديباج المذهب، مج1، ص 258-259.

(5) السيوطي، حسن المحاضرة، مج1، ص 302.

(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 60.

(7) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 60؛ العيني، بدر الدين محمود، ت 855هـ، 1451م، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2003م، ج1، ص 297.

الخليفة الفاطمي الظاهر – مدرسة بالثغر سنة 546هـ/1151م[1]، وكان ابن السلار سنياً شافعياً فيقول المقريزي : " وكان العادل بن السلار منذ أن إستقر في الوزارة.. وشد من مذهب أهل السنة فقدم عليه الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي فأكرمه وبنى له مدرسة بالاسكندرية"[2]، وسميت هذه المدرسة أول الأمر باسم المدرسة العادلية نسبة إلى منشئها العادل بن السلار ولكنها سرعان ما عرفت باسم مدرسها[3].

وكان السلفي يقوم بالتدريس ويعاونه بعض المعيدين ،ومن هؤلاء أبو المعالي رافع بن يوسف، عاون السلفي، كما كان يقوم بإعادة الدرس على أربعين طالباً من الصبيان ويؤم الناس في الصلاة[4].

أما العلوم التي كانت تدرس بهذه المدرسة فكانت تشتمل دروس الفقه والتفسير والحديث،وبعض العلوم التي تتصل بها كالتاريخ وسيرة ابن هشام وكان له في تدريسه طريقتان إحداهما: أن يقرأ نصاً أو كتاباً ويقوم بالشرح والتعليق عليه، أو أن يملي أمالي خاصة من حفظه كان يسميها الأمالي الحديثية[5].

وكان الحافظ متأثراً بآداب شيخه ابن البطر في إلقاء الدرس فكان يلتزم الأدب والوقار أثناء إلقاء الدرس فلا يشرب ولا يبزق ولا يتورك، ولا يبدو له قدم، أيضاً كان يلزم من يحضر عنده الدرس بالتزام هذه الآداب واحترام قدسية الدرس فيذكر أن سلطان مصر حضر

---

(1) العيني، عقد الجمان، ج1، ص 297.

(2) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص 267.

(3) العيني، عقد الجمان، ج1، ص 297؛ عبد الغني محمود، التعليم، ص 36.

(4) عبد الغني محمود، المرجع نفسه، ص 36.

(5) عبد الغني محمود، المرجع نفسه، ص 36.

عدة أسابيع فشرع يتحدث مع أخيه فزجرهما وقال :" إيش هذا نقرأ الحديث وأنتما تتحدثان " .[1]

وكان للسلفي مكانة كبيرة في المجتمع، وله تصانيف كثيرة وقد أخذ عنه الكثير، وانتفعوا به حتى أن ابن خلكان قد أدرك جماعة من أصحابه بالشام والديار المصرية، وقد توفي سنة 576هـ/1180م، في الاسكندرية ودفن فيها في مقبرة فيها جماعة من الصالحين كالطرطوشي[2].

(1) الذهبي، الإمام أبو عبد ا شمس الدين محمد الذهبي، ت 748هـ/1348م، تذكرة الحفاظ، ط3، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1958م، ج4، ص 1301-1303

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 60؛ العيني، عقد الجمان، ج1، ص 297-298.

الفصل الثالث

أحـــوال التعليـــــم

أولاً: الهيئة التدريسية وأساليب التدريس

1- المعلمون

2- المتعلمون

3- المناهج وأساليب التدريس

ثانياً: مصادر تمويل التعليم في العصر الفاطمي :

1- الأوقاف.

2- مساهمات الدولة.

3- الهبات والمنح الشخصية.

الفصل الثالث

أحـــوال التعليـــــم

أولاً: الهيئة التدريسية وأساليب التعليم :

1- المعلمون :

كان طالب العلم يجلس في حلقات العلم لدى الشيوخ حتى يتقن العلوم التي يدرسها، سواء أكان ذلك في المسجد أو دور العلم، وكلما أتم علوم مرحلة من مراحل التعليم إنتقل إلى علوم المرحلة التالية، فإذا انتهى طالب العلم من مراحل التعليم كلها، ووجد في نفسه القدرة على التدريس طلب من شيوخه إمتحانه وإعطاءه الإذن بالتدريس[1]، فيجلس إلى التدريس حيث يجد مكاناً خالياً، ويعرض نفسه على الراغبين من الطلبة، فإذا أنسوا فيه الكفاية العلمية وسعة الإطلاع إلتفوا حوله واقبلوا عليه، وإذا رأوه غير ذلك إنصرفوا عنه[2].

وكانت الدولة أحياناً تقوم بتعيين معلمين للمؤسسات التعليمية المختلفة، كما حصل في عهد العزيز با الفاطمي عندما عين هيئة من الفقهاء للتدريس بالجامع الأزهر، وبنى لهم داراً بجوار الجامع الأزهر وأجرى عليهم الأرزاق، وذلك سنة 378هـ /988م. وكما حصل في عهد الظاهر الفاطمي (544-549هـ) (1149-1154م) حيث صدر سجل بتعيين مدرس بالإسكندرية في المدرسة الحافظية وهو الفقيه أبو الطاهر بن عوف[3].

كما أن داعي الدعاة في الدولة الفاطمية ما هو إلا مدرس يقوم بتدريس عقائد المذهب الإسماعيلي في القصر، والجامع الأزهر، ودار الحكمة[4]، وكانت الدولة أيضاً تقوم بتعيين

---

(1) مجاهد توفيق الجندي، تاريخ التربية الإسلامية، ط1، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، 1984م، ص (180-181).

(2) خطاب عطية، التعليم، ص145.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 458.

(4) خطاب عطية، التعليم ، ص 145.

صاحب هذا المنصب، وممن تسلم هذا المنصب الحسين بن النعمان، وعبد العزيز بن محمد بن النعمان، ومالك بن سعيد الفارقي[1]، وهبة ا بن حسن الأنصاري الأوسي المعروف بابن الأزرق الذي تصدر للتدريس في دار الحكمة وذلك سنة 534هـ /1139م. [2]

وعلى الرغم من عدم وجود شروط معينة أو مؤهلات معينة للمعلم، إلا أنه يجب أن تتوافر في المعلم بعض الصفات حتى يكون مؤهلاً لهذه المهنة، ومن هذه الصفات كما وردت في السجل الخاص بتعيين الفقيه أبي الطاهر العوفي سعة الاطلاع، والقوة والنفاذ في العلم الذي يدرسه، بالإضافة إلى الورع والتقوى والإخلاص، والعدل بين الطلبة، وأن يكون ناصحاً لطلابه متوخياً لمصالحهم، وأن يكون رحيماً بطلابه، ومشفقاً عليهم [3].

هذا وقد حظي المعلمون في العصر الفاطمي بمكانة كبيرة واحترام لدى كافة الناس، فقد خصصت الدولة داراً لإقامة المعلمين في الجامع الأزهر، وأجرت عليهم الأرزاق الدائمة التي تكفيهم في حياتهم، كما خلع عليهم الخليفة العزيز يوم عيد الفطر،وحملهم على بغلات وبالإضافة إلى ذلك كان لهم صلة من مال الوزير كل سنة [4].

---

(1) المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص 69-70.

(2) إبن ميسر، المنتقى، ص 132.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج 10، ص 458.

(4) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج 4، ص 49.

كما كان الخلفاء والوزراء الفاطميون يجالسونهم فيذكر المقريزي أن الوزير الفاطمي الصالح طلائع بن رزيك قد ألف كتاباً، وجمع له الفقهاء وناظرهم عليه [1]، ويذكر في موضع آخر أنه كان له مجلس في الليل يحضر إليه أهل العلم،ويدونون شعره [2].

كما كان الخلفاء الفاطميون يشاركون العلماء في أفراحهم وأحزانهم ويعودونهم في مرضهم، ويشتركون في جنائزهم بعد وفاتهم، فيذكر المقريزي أنه لما توفي النعمان بن محمد خرج المعز حزيناً عليه، وأضجعه في التابوت [3]، ويوم مات الوزير يعقوب بن كلس صلى عليه العزيز وحزن عليه حزناً شديداً، ولم يأكل ذلك اليوم على مائدة، وأقيم العزاء على قبره مدة شهر، وأوفى العزيز عنه دينه[4]، ويوم مات محمد بن النعمان صلى عليه الحاكم [5].

كما يروي المقريزي قصة تنم عن مدى عناية الفاطميين بالعلماء، والمبالغة في إكرامهم، فيذكر أنه في سنة 550هـ/1155م، قدم الفقيه نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي اليماني الحكمي برسالة من أمير الحرمين، وما أن أنشد قصيدة بحضرة الخليفة الفائز، ووزيره الصالح طلائع بن رزيك حتى أفيضت عليه خلع الخليفة المذهبة، ومنح له الصالح خمسمائة دينار، وأخرجت إليه الشريفة بنت الحافظ خمسمائة دينار، وحمل المال معه إلى منزله وأطلقت له من دار الضيافة رسوم جليلة،ودعاه أمراء الدولة إلى منازلهم للولائم، واستحضره الصالح (الوزير) للمجالسة، ونظمه في سلك أهل المؤانسة، وإنهالت عليه صلاته، ثم لما عزم على لرجوع ودع الخليفة والصالح بن رزيك بقصيدة فأوسماه إكراماً وإنعاماً، ورسم لتسفيره خمسمائة دينار، كما كانت وفادته، وبعثت إليه السيدة مثل ذلك وخلع عليه، ولما وصل عدن

---

(1) المقريزي، المواعظ والإعتبار، ج4، ص 82.

(2) المصدر نفسه، ج4، ص 82.

(3) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج 1، ص 213.

(4) المقريزي، المصدر نفسه، ج 1، ص 302؛ إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 429.

(5) المقريزي، المصدر نفسه، ج 1، ص 336.

كتب قصيدة يشكر فيها الوزير الصالح طلائع بن رزيك، فلما وقف عليها الوزير قال : قد فرطنا فيه حين تركناه يخرجه من عندنا، ولقد كان إمساكه للخدمة والصحبة أولى[1].

ومن الجدير بالذكر أن المرأة في العصر الفاطمي لم تكن غائبة عن هذه النهضة العلمية والثقافية، وهذا ما تظهره القصة من خلع الشريفة بنت الحافظ على الفقيه عند قدومه على مصر،وخروجه منها.

وقد دفعت هذه العناية بالمعلمين والمتعلمين الكثيرين إلى الرحلة إلى مصر للإفادة والتعليم فيها، ومنهم يحيى بن علي التبريزي، وهو إمام في النحو دخل مصر في ريعان شبابه وقرأ – على يد أبي الحسن طاهر بن بابشاذ، وكانت وفاته سنة 1108/502م [2]، وعلي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع الصقلي، وفد إلى مصر فاتخذها وطناً له، ولقيه المصريون بالحفاوة وبالغوا في إكرامه، وخصه الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بالرعاية، وجعله مؤدباً لولده في علوم العربية وفنون الأدب، وله من المؤلفات "الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة (جزيرة صقلية)، "وكتاب الأسماء في اللغة"، وتوفي في سنة 515هـ/1121م [3]، وأبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن عمر بن قاسم المعروف بنفطويه الحضرمي، المقريء الأديب سمع ببغداد، ورحل إلى مصر، وتوفي فيها سنة 555هـ/1160م[4]، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن كوار بن المختار الغرناطي، وكان من أعيان غرناطة، وله معرفة

---

(1) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص (280-281).

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 297.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص 153؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4، ص 505.

(4) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص 289.

جيدة بالنحو، وكتب عنه السلفي، وتوفي في مصر سنة 555هـ/1160م [1]، وأبو جعفر محمد بن عبد ا بن محمد ولد بمكة، وقدم مصر في صباه توفي سنة 565هـ/1169م[2].

ومن أشهر علماء مصر الذين تصدروا للتعليم في مؤسساتها التعليمية الوزير يعقوب بن كلس، ومحمد بن النعمان، والقاضي أبو الحسن علي بن النعمان، وأبن الهيثم، وأبو الحسن علي بن الحوفي، وأبو الحسن طاهر بن بابشاذ، وقد أشرت إليهم جميعاً في الفصل السابق، وأبو الحسن علي بن الحسن بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالخلعي المحدث المشهور وإليه نسب مسجد الخلعي بالقرافة، وكان محدثاً مقرئاً، سمع على جماعة كثيرة، وجمع له الحافظ أبو نصر أحمد بن الحسن الشيرازي عشرين جزءاً سماها الخلعيات[3]، وأبو الفضل عبد ا بن الحسين بن بشرى المعروف بابن الجوهري الواعظ المصري أحد أكابر شيوخ مصر، وكان يعظ بجامع عمرو[4]، وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن الفضل.. بن العلاء الحضرمي وكان محدثاً، وأخذ عنه السلفي، وتوفي في الإسكندرية سنة 554هـ، 1159م [5]، وأبو القاسم عبد السلام بن مختار اللغوي وكان متصدراً في الجامع العتيق توفي سنة 554هـ/1159 [6] أيضاً.

هذا وقد تعددت الألقاب التي تطلق على العلماء، وكانت الألقاب كنوع من التكريم والتعظيم لما يقومون به من جهود، ومن هذه الألقاب الإمام وهو أسمى ألقاب العلماء، ويدل

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 289.

(2) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت 911هـ/1505م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر، 1979م، م1، ص 142.

(3) ابن ميسر، المنتقى، ص 67.

(4) المصدر نفسه، ص 49.

(5) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج 2، ص 285.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص 286.

على تمكن صاحبه من علمه بحيث يصير قدوة للناس وإماماً لمن يتبعوه، والحافظ وقد أطلق على كبار علماء الحديث، واختص بهم لاحتياجهم إلى كثرة الحفظ لمتون الأحاديث وأسماء الرجال، والفقيه ويطلق على العالم بالاحكام الشرعية، والحجة وقد استعمل اللفظ كلقب فخري إما بمفرده، وإما بالإضافة إلى ألفاظ أخرى مثل " حجة الإسلام " [1].

2-المتعلمون : -لم تكن هناك شروط معينة في الطلبة أو المتعلمين فقد كان الطلبة يفدون إلى مصر من شتى الأقطار، وبدون تفرقة في الجنس أو المذهب[2]، كما لم تكن هناك قواعد موضوعة للانتظام في الدراسة بل كان أساس ذلك رغبة الطالب نفسه واستعداده الخاص وظروفه، وهو الذي يختار دروسه ويختار أستاذه، ويأتي إلى المؤسسة التعليمية من مسجد أو دور العلم وينقطع عنها متى شاء [3]. فلم يحدد طلب العلم بفترة زمنية معينة[4].

وكان الطلبة في العهد الفاطمي يقيمون على مقربة من المسجد أو المدرسة أو غيرها من المؤسسات التعليمية، كما هو الحال في المدرسة الحافظية التي أنشئت في الاسكندرية 532هـ/1138م، والدار التي بناها العزيز با بجانب الجامع الأزهر للفقهاء، ويعتبر نظام السكن هذا من مفاخر التعليم في مصر في العصور الإسلامية الزاهرة فقد ساعد هذا النظام

---

(1) مجاهد توفيق الجندي، تاريخ التربية الإسلامية، ص193-196.

(2) عبد المنعم ماجد، التعليم عند الفاطميين، ص 258.

(3) خطاب عطية، التعليم، ص 141.

(4) عبد العزيز الدوري، مدخل تاريخي، الموجز في التربية العربية الإسلامية، مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان، ص 13.

على توفير الجو المناسب للطلبة والمدرسين للتفرغ للعلم.[1] كما كان النواة لإنشاء الأروقة [2] التي ألحقت بالأزهر بعد ذلك[3].

كما كان التعليم في العصر الفاطمي مجاناً، فلم يؤد الطلبة عن تعليمهم أية نفقات بل كانت الدولة الفاطمية تؤمن لهم المأكل والمشرب،وكل ما يحتاج إليه الطلبة من الكتب والأوراق والمحابر والأقلام. وهذا ما سنأتي على ذكره لاحقاً عند الحديث عن الإنفاق على التعليم في العصر الفاطمي.

وهذا النظام جعل التعليم في العصر الفاطمي حقاً للجميع فلم يقتصر على طبقة أو فئة دون غيرها، كما كان وسيلة للتيسير والتسهيل على الطلبة الغرباء الذين رحلوا إلى مصر في سبيل طلب العلم.

ولطلبة العلم مجموعة من الآداب والأخلاق الواجب التمثل بها سواء في حياته أو مع أستاذه، وقد عنى كثير من المربين المسلمين بهذه الآداب، ومن هؤلاء الإمام برهان الدين الزرنوجي صاحب كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم، يرى الزرنوجي أنه على طالب العلم أن يوقر المعلم، ومن توقير المعلم ألا يمشي أمامه، ولا يجلس مكانه، ولا يبدأ الكلام عنده إلا بإذنه، ولا يكثر الكلام عنده، ولا يسأل شيئاً عند ملالته، ولا يتكلم عنده مع شريكه، ولا يسأل شيئاً في طريقه، ويراعي الوقت ولا يدق الباب عليه بل يصبر حتى يخرج [4]. وأن ينوي

---

(1) مجاهد توفيق الجندي، تاريخ التربية، ص 116.

(2) الأروقة جمع رواق وهي عبارة عن منزل يعد لسكن الطلبة ولا سيما الغرباء منهم. هامش رقم (2) خطاب عطية، التعليم، ص 142.

(3) محمد عبد ا عنان، تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة النشر، القاهرة، 1942م.

(4) الزرنوجي، الإمام برهان الدين. (ت 620هـ/1223م)، تعليم المتعلم طريق التعلم، (تحقيق مصطفى عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة، 1986م، ص (56).

بعلمه الشكر على صحة البدن ونعمة العقل، ولا ينوي به إقبال الناس عليه، ولا استجلاب حطام الدنيا، والكرامة عند السلطان[1]، وأن يكون متواضعاً ولا يذل نفسه بالطمع ويمتنع عما فيه مذله العلم وأهله[2]. وأن يحرز عن الشبع، وكثرة النوم، وكثرة الكلام فيما لا ينفع [3].

ويضيف ابن جماعة في آداب طالب العلم مع شيخه أن ينقاد لشيخه في أموره، ولا يخرج عن رأيه وتدبيره، وأن ينظر لشيخه بعين الإجلال ويعتقد فيه درجة الكمال، وأن يعرف حقه ولا ينسى له فضله، ومن ذلك أن يعظم، حرمته، ويرد غيبته، ويغضب لها، وأن يصبر على جفوةٍ تصدر من شيخه أو سوء خلق، ولا يصده ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته وأن يشكر شيخه على إرشاداته وإفاداته، كما ينبغي أن يدخل على شيخه كامل الهيئة، متطهر البدن والثياب بعدما يحتاج إليه من أخذ ظفر وشعر، وقطع رائحة كريهة، لا سيما إن كان يقصد مجالس العلم، فإنه مجالس ذكر واجتماع في عبادة، وأن يدخل على الشيخ أو يجلس عنده، وقلبه فارغ من الشواغل له، وذهنه صافٍ، لا في حالة نعاس أو غضب أو جوع شديد أو عطش، أو نحو ذلك، ويجلس بأدب وتواضع وخضوع وسكون ويصغي إلى الشيخ ناظراً إليه، متعقلاً لقوله، ولا يلتفت من غير ضرورة. [4]

وكانت قيمة طالب العلم عند الناس تتوقف على مقدار شهرة الشيخ الذي يتلقى عنه، فكان طالب العلم يفخر بالشيخ الذي يأخذ عنه العلم، ولهذا كانت الرحلة في طلب العلم، فكان طالب العلم يرحل من بلد إلى آخر ليأخذ عن شيخ أو يتتلمذ على يديه.

---

(1) الزرنوجي، المصدر نفسه، ص 32.

(2) الزرنوجي، المصدر نفسه، ص 40.

(3) الزرنوجي، المصدر نفسه، ص 123؛ عبد ا زاهي الرشدان، الفكر التربوي الإسلامي، ط1، دار وائل للنشر، عمان، 2004م، ص.

(4) ابن جماعة، بدر الدين إبراهيم بن سعد ا ، (ت 733هـ/ م)تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م. ص (89-105).

وقد رحل إلى مصر في العصر الفاطمي الكثير من طلبة العلم، وشجعهم على ذلك ما كانت عليه القاهرة ومصر من الحضارة، وما كان فيها من مشاهير العلماء والمدرسين، ولأن لغة الممالك الإسلامية واحدة وعاداتها متقاربة[1].

ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر محمد بن يحيى بن محمد أبو عبد ا الحذاء أو التميمي الأندلسي، وكان محدثاً فقيهاً وخطيباً بليغاً، رحل إلى مصر فأخذ بها عن الحافظ عبد الغني والجوهري وغيرهما ثم رجع إلى الأندلس فولي القضاء وتوفي في 410هـ/1019م [2]. وعلي بن الحسين الآمدي النحوي، وقد وفد إلى مصر، وأقام بها منقطعاً إلى أبي الفضل بن حنزابة الوزير[3]، وعثمان بن سعيد الداني المقرئ والذي رحل إلى مصر سنة 397هـ/1006م، وقرأ بها القرآن، وكتب الحديث،والفقه والقراءات عن جماعة من المصريين والبغداديين والشاميين وتوفي سنة 444هـ/1052م [4].

---

(1) خطاب عطية، التعليم في، ص (143-144).

(2) ياقوت الحموي، معجم الأدباء م 7، ص (77-78).

(3) المصدر نفسه، م5، ص (99).

(4) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، م4، ص (409-411).

3- المناهج وأساليب التعليـ ــ ـم :-

تأثرت المناهج في العصر الفاطمي إلى حد كبير بالصبغة المذهبية للدولة، فنجد أن علوم الشيعة وفقه آل البيت قد احتلت المقام الأول في المناهج التي كانت تدرس في ذلك العهد، والشواهد على ذلك كثيرة، فقد كان القاضي الفاطمي أبو الحسن علي بن النعمان يدرس في الجامع الأزهر مختصر أبيه في الفقه عن آل البيت ويعرف هذا المختصر بالاقتصار[1]

كما كانت تعقد مجالس الحكمة - من قبل داعي الدعاة في القصر ودار الحكمة - بشكل مستمر في كل يوم وإثنين وخميس من كل أسبوع[2]، كما أمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الإسلام الذي ألفه القاضي النعمان بن محمد، وهو يبين أحقية علي بن أبي طالب في الخلافة [3]، وأيضاً كتاب الوزير يعقوب بن كلس في الفقه على مذهب أهل البيت وفرض الخليفة الظاهر لمن يحفظ ذلك مالاً[4].

وعلى الرغم من ذلك، فإن المذهب السني بقي ظاهر الشعار مع المذهب الفاطمي، ولا أدل على ذلك من إنشاء مدرسة في الإسكندرية لتدريس الفقه على مذهب الإمام مالك [5]. وإنشاء المدرسة السلفية نسبة إلى أبي طاهر السلفي وكان شافعي المذهب [6].

وإلى جانب ذلك كانت تدرس العلوم الشرعية مثل علم القراءات، والحديث والتفسير، والعلوم اللسانية مثل النحو والصرف والبلاغة والأدب، والعلوم العقلية كالطب والمنطق والفلسفة، وقد نبغ عدد كبير من العلماء المصريين.

---

(1) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1، ص 276؛ محمد عبد ا عنان، الحاكم بأمر ا ، ص 363.

(2) ابن الطوير، نزهة المقتلين، ص110-112.

(3) الداعي، إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 556-563؛ المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص 40.

(4) المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص 40.

(5) ابن ميسر، المنتقى، ص 130؛ المقريزي، المصدر نفسه، ج 2، ص 267.

(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 60؛ السيوطي، حسن المحاضرة، م1، ص 302.

ومن أشهر أئمة القراءات في هذا العصر محمد بن علي بن أحمد أبو بكر الأدفوي المصري المقرئ النحوي المفسر، له كتاب الاستغناء في علم القراءات توفي سنة 388هـ/998م[1]، وكذلك عبد المنعم بن عبيد ا بن غلبون بن المبارك وكان حافظاً للقراءة، ضابطاً، ألف كتاب الإرشاد في القراءات وتوفي في مصر سنة 389هـ/998م[2].

ومن أئمة الحديث في مصر عبد الغني بن سعيد بن علي الأزدي، إمام زمانه في علم الحديث وحفظه، من مؤلفاته المؤتلف والمختلف توفي سنة 409هـ /1018م.[3] والحبال، أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد ابن عبد ا النعماني، وكان ثقة حجة صالحاً ورعاً توفي عام 482هـ/1089م[4]. ومن علماء النحو واللغة اشتهر الحوفي ت 430هـ [5]، وابن بابشاذ[6] وابن القطاع ت 515هـ/1121م.[7]

ومن المؤرخين ابن زولاق أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين، صنف كتاباً في فضائل مصر، وذيلاً على قضاة مصر للكندي. وتوفي سنة 387هـ/997م [8]، والمسبحي عز الملك محمد بن عبد ا بن أحمد الحراني صنف تاريخ مصر توفي سنة 420هـ/1029م[9].

وممن اشتهر بالعلوم العقلية أبو الحسن علي بن الإمام الحافظ أبي سعيد بن يونس صاحب تاريخ مصر، له زيج يسمى الزيج الحاكمي توفي سنة 399هـ/1008م[1]، وأبو

---

(1) السيوطي، حسن المحاضرة، م1،ص (405).

(2) السيوطي، حسن المحاضرة، م 1، ص 405.

(3) المصدر نفسه، م1، ص 301.

(4) المصدر نفسه، م 1، ص 302.

(5) المصدر نفسه، م1، ص 436؛ محمد عمارة، عندما أصبحت مصر عربية، دراسة عن المجتمع المصري في العصر الفاطمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1974م، ص 67.

(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 432؛ محمد عمارة، المرجع نفسه، ص 67.

(7) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص 153-154.

(8) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، م3، ص 134؛ محمد عمارة، عندما أصبحت مصر عربية، ص 67.

(9) السيوطي، المصدر نفسه، م1، ص 452؛ محمد عبد ا عنان، الحاكم بأمر ا ، ص 364.

الصلت أمية بن عبد العزيز الداني الأندلسي وكان ماهراً في علوم الأوائل، ومعرفة الهيئة والنجوم والموسيقى. مات سنة 528هـ/1133م[2]، والمبشر بن فاتك الأموي أبو الوفاء وكان من أفاضل علماء مصر، وإماماً في الهيئة والعلوم الرياضية والطب، وله تصانيف جليلة في المنطق[3]، وشرف الدين عبد ا بن علي الشيخ السديد، شيخ الطب بالديار المصرية، خدم الخليفة الفاطمي العاضد، وتوفي سنة 592هـ/1195م[4].

ومن أشهر شعراء وأدباء مصر تميم بن الخليفة الفاطمي المعز لدين ا المتوفى 368هـ/978م[5]، وأبو الرقعمق، أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي، مدح المعز وأولاده، والوزير يعقوب بن كلس ومات سنة 399هـ /1008م [6]، وصريع الدلاء أبو الحسن علي بن عبد الواحد البغدادي توفي بمصر سنة 1021/412م[7]، والقاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم بن علي الوزير، صاحب ديوان الإنشاء، وشيخ البلاغة وتوفي 596هـ/1099م [8].

أما عن أساليب الدراسة ونظامها، فقد كان نظام الحلقات العلمية هو نظام الدراسة المعتمد في تلك الفترة، فكان الشيخ أو المعلم يجلس في صدر الحلقة على كرسي من الخشب

---

(1) المصدر نفسه، م1، ص 442؛ محمد عبد ا عنان، المرجع نفسه، ص 364.
(2) المصدر نفسه، م1، ص 442.
(3) ابن ابي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص 560-561.
(4) المصدر نفسه، ص 572.
(5) السيوطي، حسن المحاضرة، م1، ص457.
(6) المصدر نفسه، م1، ص 458.
(7) السيوطي، حسن المحاضرة، م1، ص 458.
(8) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص 76.

أو الجريد، مستنداً إلى عامود من الأعمدة[1]، والطلبة من حوله على شكل حلقة، وهذا الكرسي هو الذي إنتقل إلى جامعات العالم شرقاً وغرباً باسم " كرسي الأستاذية"[2].

كانت الحلقات تتسع وتضيق وفقاً للمنزلة العلمية لأصحابها، وقدرتهم على إيصال العلم للحضور، وكانت الحلقة الدائمة تسمى " الزاوية" [3].

وقد تتعدد الحلقات في المسجد الواحد كما ذكر المقدسي في وصفه لجامع عمرو بن العاص حين يقول : "وبين العشائين جامعهم مغتص بحلق الفقهاء وأئمة القراءات وأهل الأدب والحكمة، دخلتها مع جماعة من المقادسة فربما جلسنا نتحدث فنسمع النداء من الوجهين: دوروا وجوهكم إلى المجلس، فننظر فإذا نحن بين مجلسين على هذا جميع المساجد، وعددت فيه مائة وعشرة مجالس.... ". [4] وعلى الرغم من أن العدد الذي أورده المقدسي قد يكون مبالغ فيه إلا أنه يعطينا صورة واضحة عن تعدد حلقات العلم بالمساجد وتنوعها.

وكان العالم يبتدئ درسه بحمد ا ، والصلاة على النبي بعد قراءة قارئ حسن الصوت شيئاً من القرآن،ثم يدعو عقب القراءة لنفسه وللحاضرين وسائر المسلمين[5]، ثم يبتدئ درسه وإذا تعددت الدروس يقدم الأهم فالأهم فيقدم تفسير القرآن ثم الحديث ثم أصول الدين ثم الفقه، ثم المذهب ثم الخلاف أو النحو أو الجدل [6].

---

(1) مجاهد توفيق الجندي، تاريخ التربية، ص 234؛ أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ص 368.

(2) مجاهد توفيق الجندي، تاريخ التربية ، ص 234.

(3) دور المجالس والحلقات في النظام التربوي والتعليمي الإسلامي من القرن الأول، حتى القرن الخامس، الموجز في التربية العربية الإسلامية، مؤسسة آل البيت، ص 36.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 205.

(5) ابن جماعة، تذكرة السامع، ص 50؛ آدم متز، الحضارة الإسلامة في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1967م، م1، ص 337.

(6) ابن جماعة، المصدر نفسه، ص 50.

هذا وقد تنوعت طرائق التدريس ومرت بمراحل عديدة فالمرحلة الأولية سادتها طرائق التلقين، والحفظ والاستظهار والقراءة والكتابة، أما المرحلة العالية (مرحلة الدراسة بالمسجد والمدرسة)، فقد انتشرت فيها طرائق المحاضرة والحلقات والسماع والإملاء، والقراءة، والمناظرة، والحوار والمناقشة [1].

ومن أشهر هذه الطرق هو أسلوب الإملاء، فكان الشيخ يرتجل درسه، ويلقيه من رأسه، وأحياناً يلجأ إلى الأمالي فيملي على الطلبة من كتابه أو كتاب غيره، فإذا انتهوا من الكتابة راجعوها على الشيخ [2]. كان المملي يفت تحقيق مجلسه بالتسمية[3]، ويبدأ إملاءه مراعياً مستوى عقول السامعين، ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع الحاضرين وإذا روى حديثاً فيه كلام غريب فسره وبينه [4].

وإذا فرغ الطلاب من الكتابة يقرأ المستملي الإملاء والطلبة يعارضون كتابهم وإذا فات بعض الطلبة شيء من المجالس فيعيره بعض من حضر كتابه حتى ينسخه منه ويغتنم الثواب في ذلك[5]، ولعل هذا هو السر في وجود نسخ كثيرة من الكتاب الواحد في مكتبة الأزهر[6].

ويستحب للمستلمي أن يقعد على موضع مرتفع مثل دكّه أو كرسي فإن لم يجد استملي قائماً لأن المقصود من الإستملاء أن يبلغ جميع الحاضرين. لذا ينبغي أن يكون المستملي جهوري الصوت، وأفصح الحاضرين لساناً وأوضحهم بياناً وأفصحهم عبارة

---

(1) محمد عناقرة، المدارس في مصر، ص 206.

(2) مجاهد الجندي، تاريخ التربية، ص 334.

(3) السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، ص 170.

(4) السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، ص 49، 59، 61.

(5) السمعاني، أدب الإملاء، ص 174.

(6 مجاهد الجندي، تاريخ التربية، ص 334.

وأجودهم أداء[1]. وكان الطالب يكتب مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا[2] ولعل أسلوب الإملاء كان أهم أساليب التعليم في ذلك العصر وذلك لقلة الكتب المنسوخة، وغلاء ثمنها [3]..

ومن الإشارات التي تدلنا على استخدام هذا الأسلوب في العصر الفاطمي قول المقريزي عن القاضي أبو الحسن علي بن النعمان الذي جلس في الجامع الأزهر وأملى مختصر أبيه فيه الفقه عند آل البيت وذلك سنة 365هـ/975م[4].

ومن الأساليب الأخرى التي كانت تطبق في هذا العصر أسلوب المناقشة والمناظرة وهي نوع من أنواع البحث العلمي[5]، وقد يكون هذا الأسلوب قد أسهم في إيجاد مؤسسات تعليمية أخرى كالمدارس ودور العلم كالتي أنشأها الحاكم الفاطمي في القاهرة، ذلك أن المساجد لم يكن يحسن تخصيصها للتدريس بما يتبعه من مناظرة وجدل قد يخرج بأصحابه أحياناً عن الأدب الذي تجب مراعاته في المسجد[6].

وقد اهتم الفاطميون بهذا النوع من أساليب التدريس فسمحوا بإقامة المناظرات بين فقهاء السنة وفقهاء الإسماعيلية[7]، وربما كان هذا لخدمة الأغراض المذهبية للفاطميين والمتمثلة في بيان بعض المآخذ على المذاهب الأخرى، وإقناع الناس بحجج الدعاة وأدلتهم

---

(1) السمعاني، أدب الإملاء، ص 89، 93.

(2) آدم متز، الحضارة الإسلامية، ص 335؛ أحمد خالد جيدة، المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2001م، ص 334.

(3) خطاب عطية، التعليم في مصر، ص 135.

(4) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1، ص 276.

(5) محمد أسعد طلس، التربية والتعليم في الإسلام، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1957م، ص 155.

(6) آدم متز، الحضارة الإسلامية، ص 335.

(7 الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 699.

وبالتالي يدخلوا في دعوتهم[1]. وفي بعض الأحيان كان يحضر جماعة من العلماء ليتناظروا أمام الخليفة، كما فعل الخليفة الحاكم سنة 403هـ/1012م حين أحضر جماعة من دار العلم من أهل الحساب والمنطق، وجماعة من الفقهاء، وجماعة من الأطباء، وتناظرت كل طائفة منهم بين يديه ثم خلع عليهم[2]، وهو ما يشبه الندوات أو المؤتمرات العلمية في وقتنا الحاضر[3].

هذا وقد كانت تراعى أذهان المتلقين للعلم ومستوياتهم فكانت تعقد لكل فئة مجلس، كما هو الحال في مجالس الحكمة، فكان هناك مجلس للرجال وآخر للنساء، وواحد لعامة الناس، وآخر للقارئين على البلد، ومجلس لخواص القصر[4].

ومن الأساليب الطريفة في التدريس هي أن يأخذ المعلم طلابه في رحلات خارج المدينة كما كان يفعل الشيخ الطرطوشي، فيقضون الوقت في مذاكرة وفرجة في الوقت ذاته، وقد استهوت هذه الطريقة عدداً كبيراً من الطلبة الذين أقبلوا على دروسه، حتى وصل عددهم إلى ثلاثمائة وستين طالباً حسب رواية ابن فرحون[5].

---

(1) محمد كامل حسين، في أدب مصر، ص 45.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 335.

(3) عبد المنعم ماجد، " التعليم عند الفاطميين"، الموجز في التربية العربية الإسلامية، ص 69.

(4) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 226.

(5) ابن فرحون، الديباج، ص (349-351).

ثانياً: مصادر تمويل التعليم في العصر الفاطمي :

1-الأوقـــــاف :

كان للوقف دوره الكبير في تاريخ المجتمعات الإسلامية وبخاصة في إقامة المؤسسات التعليمية والصحية وفي توفير المياه حيث تعز[1]

وقد ظلت الأوقاف في مصر – مع كثرتها منذ دخول المسلمين – في أيدي المستحقين أو نظار الوقف، حسب شروط الواقف، دون أي تدخل أو إشراف من الدولة[2]،حتى ولي قضاء مصر القاضي الأموي " توبة بن نمير "[3] سنة 115هـ/733م، زمن هشام بن عبد الملك، فاتجه إلى تسجيل الأحباس في ديوان خاص بها، وجعل ذلك تحت إشرافه، بناء على ما رآه من أنها صدقات للفقراء والمساكين، فقرر أن يلي الإشراف عليها حفظاً لها من أن يضع المنتفعون بها أيديهم عليها ويتوارثونها فتضيع ثمرتها، أو لا تصل إلى مستحقيها[4]. ولم يمت توبة حتى صار للأحباس ديوان مستقل عن بقية الدواوين تحت إشراف القاضي، مما يشير إلى أن هذه المبادرة من القاضي توبة تعكس ما آل إليه أمر الأوقاف في عهده من فوضى واضطراب، ويعتبر هذا الديوان أول تنظيم للأوقاف ليس في مصر فحسب، بل في كافة أرجاء

---

(1) عبد العزيز الدوري، " مستقبل الوقف في الوطن العربي"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع (274)، ص (132)

(2) (H.A.R) and Harold Bown, Islamic Society , Vol. 1. P. 11

(3) هو توبة بن نمر الحضرمي، يكنى أبا محجمة وأبا عبد ا ، تولى قضاء مصر من قبل الوليد بن رفاعة، الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (توفي بعد سنة 353هـ -964م). الولاة والقضاة، ط1، (تحقيق محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي) منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ص 48م.

(4) الكندي، الولاة والقضاة، ص 250، محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1980م، ص 48.

الدولة الإسلامية[1]. ومنذ ذلك الوقت أصبحت الأوقاف تابعة للقضاة، وتتابع القضاة على تولي شؤون الأوقاف بالنظر والإشراف، ومحاسبة المسؤولين [2]

وفي العصر العباسي أصبحت للأوقاف إدارة خاصة مستقلة عن القضاة، عندما وضعوا لإدارة الوقف رئيساً يسمى" صدر الوقوف " أنيط به مهمة الإشراف على إدارة شؤون الوقف، وقبض ريعها وصرفه في الأوجه الشرعية المعتمدة [3]

وتنوعت الأوقاف واتسعت بحيث أصبحت تجري في الأراضي الزراعية بعد أن ظلت منحصرة في الدور، كما يذكر المقريزي حيث قال : " إعلم أن الأحباس في القديم لم تكن تعرف إلا في الرباع، وما يجري مجراها عن المباني.. وأما الأراضي فلم يكن سلف الأمة من الصحابة والتابعين يتعرضون لها، وإنما حدث ذلك بعد عصرهم حتى أن أحمد بن طولون لما بنى الجامع والمارستان والسقاية، وحبس على ذلك الأحباس الكثيرة، لم يكن فيها سوى الرباع ونحوها بمصر ولم يتعرض إلى شيء من أراضي مصر البتة ".[4]

ولما قدمت الدولة الفاطمية إلى مصر، أدخل الفاطميون الكثير من التنظيمات الخاصـة بالوقف، فقد أمر المعز لدين ا الفاطمي في سنة 363هـ -- 974م. بمنع وقف الضياع، وأن تحول جميع المتحصلات المالية المجباة من الممتلكات الموقوفة إلى بيت المال، وطولب أصحاب الأحباس أو المنتفعين بإظهار الوثائق التي تدل على أحقيتهم في ريع الأوقاف، وبعد ذلك بقليل أصبح هناك ضامن للأوقاف وهو محمد بن القاضي أبي الطاهر محمد بن أحمد بألف ألف وخمسمائة ألف درهم في كل سنة يدفع إلى المستحقين حقوقهم،

---

(1) محمد أمين، الأوقاف الحياة الاجتماعية، ص 48.

(2) محمد أحمد سراح، أحكام الوصايا والأوقاف في الفقه الإسلامي، (د. ط)، الإسكندرية، دار المطبوعات الجامعية، ص 139-140.

(3) الكندي، الولاة والقضاة، ص 342-354 وما بعدها.

(4) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج4، ص 83.

ويحمل ما بقي إلى بيت المال[1]، وأصبح للأحباس ديوان مفرد، وصار قاضي القضاة يتولى أمر الأحباس من الرباع، وإليه أمر الجوامع والمشاهد [2].

وقد أمدنا القلقشندي بعهد صدر عن الحاكم بأمر ا الفاطمي للحسين بن علي النعمان يوكل له أمر النظر بالجوامع والمساجد جاء فيه : " هذا ما عهد عبد ا ووليه المنصور، حين ولاه الحاكم بالمعزيه القاهرة ومصر والإسكندرية وأعمالها والحرمين حرسهما ا تعالى، وأجناد الشام وأعمال المغرب، وإعلاء المنابر وأئمة المساجد الجامعة والقومة عليها، والخطباء بها والمؤذنين فيها وسائر المتصرفين في مصالحها مشارفة لا يدخل معها خلل في شيء يلزم مثله من تطهير ساحتها وأفنيتها، والاستبدال مما تبدل من حصرها في أحيانها وعمارتها بالمصابيح في اوقاتها، والإنذار بالصلوات في ساعاتها،وإقامتها لأوقاتها وتوفيتها حتى ركوعها وسجودها مع المحافظة على رسومها وحدودها من غير اختراع ولا اختلاع"[3].

وبذلك أصبح للأحباس ديوان خاص يختص بالإشراف على الأموال الموقوفة على جهات البر، فيجبى إيرادها وينفق على ما أوقفت عليه، كالمساجد والمشاهد، وعلى طوائف المستحقين من العاملين في المساجد ونحوهم[4].

وقد اعتبر الخليفة الفاطمي المعز لدين ا نفسه أحد المستحقين في أموال الأحباس، عندما أطلعه القاضي النعمان بن محمد على ما جاء بكتاب الكندي بشأن حبس عمرو بن

---

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج4، ص 83؛ محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص 52، منى علي السالوس وسمر عبد الرحمن الصديقي، الوقف ودوره في الحياة العلمية والتعليمية، مجلة الثقافة والتنمية، سوهاج، مصر، 2001م، ع 3، ص 164

Rabie , Hassanien, The Financial System of Egypt, P.9.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج4، ص 83.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص (384، 385، 387، 388

(4) عيسى العزام، " الدولة الفاطمية في عهد الخليفة المستنصر "، ص 51، محمد محمود عناقرة " المدارس في مصر في عصر دولة المماليك "، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، 2005م، ص 116.

العاص وأن محمد بن أبي بكر كان قبضه، وضرب عليه صافية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال المعز : " هذا مال لنا فليحمل إلينا مفرداً من مال الأحباس ". [1]

ويذكر المقريزي نقلاً عن ابن الطوير سير العمل في ديوان الأحباس فيقول " الخدمة في ديوان الأحباس، وهو أوفر الدواوين مباشرة ولا يخدم فيه إلا أعيان كتاب المسلمين من الشهود المعدلين بحكم أنها معاملة دينية، وفيها عدة مدبرين ينوبون عن أرباب هذه الخدم في إيجاب أرزاقهم من ديوان الرواتب، وينجزون لهم الخروج بإطلاق أرزاقهم،ولا يوجد لأحد من هؤلاء خرج إلا بعد حضور ورقة التعريف من جهة مشارف الجوامع المساجد باستمرار خدمة ذلك الشهر جميعه، ومن تأخر تعريفه تأخر الإيجاب له، وإن تمادى ذلك استبدل به، أو توفر ما بإسمه لمصلحة أخرى خلال جواري المشاهد، فإنها لا توفر لكنها تنقل من مقصر إلى ملازم، وكان يطلق لكل مشهد خمسون درهماً في الشهر برسم الماء لزوارها، ويجري من معاملة سواقي السبيل بالقرافة، والنفقة عليها من ارتفاعه (الدخل أو الريع) فلا تخلو المصانع، ولا الأحواض من الماء أبداً، ولا يعترض أحد من الانتفاع به، وكان فيه كاتبان ومعينان " [2].

ويذكر صاحب كتاب لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية الشروط الواجب توفرها في ناظر ديوان الأحباس فيقول : ".. فيحتاج الناظر فيه إلى أن يكون عالماً متفنناً مفتياً في أنواع من العلوم، مشاركاً في الفضائل والأدب شريف الهمة عظيم المقدار في نفسه وعند سلطانه، وجهاً من وجوه الدولة فإنه يحكم على العلماء والفقهاء والقراء والمحدثين والفضلاء والخطباء المتصدرين والمدرسين وأئمة المساجد، ينفرد دون كل ناظر من نُظار

---

(1) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1، ص 212.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج4، ص 84.

الدواوين بالإطلاق لمن يختار ما يختار من فدنٍ في البلاد، وعينٍ من جميع الجهات، ينفذ توقيعه من غير إذن السلطان وبغير إحاطة علمه، وبغير خطه، ،لا يسوغ لأحد أن يطلق في الديار المصرية درهماً إلا بمرسوم سلطاني أو بخط شريف.. إلا صاحب ديوان الأحباس فإن العادة أن يستقل بالاطلاق ما شاء لمن شاء، ويبقى ما يطلقه مؤبداً لمن أطلق له، ولورثته من بعده فيحتاج من يكون له هذه المنزلة ويوثق به هذه الثقة، ويلي على هذه الطائفة أن يكون أهلاً بما فيه من العلم، لأن يعرف من يصلح للتدريس والتصدر والخطابة والإمامة وشروط ذلك بعيداً عن الهوى، وقبول رشوة يفضح بها نفسه عند هذه الطائفة.. "[1].

ورغم حداثة منصب رئيس ديوان الأحباس إلا أن متوليه سرعان ما ارتقى إلى مركز كبير في الدولة بين موظفي الدواوين، حتى فاق منصبه منصب قاضي القضاة الفاطمي الذي كان في حاجة إلى توقيع رئيس ديوان الأحباس ليصرف مرتباته[2]، فيذكر النابلسي " أن العادة في زمن المصريين إذا كان عيد او موسم يهنأ فيه السلطان، بعث قاضي القضاة رسوله يقف بباب السلطان إلى أن يجيء صاحب ديوان الأحباس يهنئ ويروح، فإذا راح جاء غلام قاضي القضاة، وأعلمه بمجيء المذكور وعوده، فيركب حينئذ قاضي القضاة إلى تهنئة السلطان[3]"، ويعلل النابلسي ذلك بقوله : " وإنما كان ذلك خوفاً أن يتفق هو وصاحب ديوان الأحباس، فيجلس صاحب الأحباس فوقه أو عن يسار السلطان، وهو المنصب، كل هذا لجلاله المشار

---

(1) النابلسي، عثمان بن إبراهيم، ت(632هـ/1234م)، لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، تحقيق كلود كاهن، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1988م، ص 26.

(2) محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص 55.

(3) النابلسي، لمع القوانين، ص (28).

إليه، وأنه يساوي قاضي القضاة في العلم والدين والفقه والنزاهة والورع، ويفضل عليه بأن جاريه ورزقه من تحت يده في الخطابة والحكم والتدريس وغير ذلك "[1].

فكان القضاة بمصر، إذا بقي لشهر رمضان ثلاثة أيام، طافوا على المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة، يبدأون بجامع المقس، ثم القاهرة ثم المشاهد، ثم القرافة، ثم جامع مصر (الأزهر) ثم مشهد الناس، لنظر حصر ذلك وقناديله وعمارته وما تشعث منه.."[2].

وقد وصلنا من العهد الفاطمي وثيقة صادرة عن الحاكم بأمر ا الخليفة الفاطمي سنة 400هـ/1009م، وتتضمن وقف بعض أملاكه من دور وحوانيت ومخازن لينفق من ريعها على الجامع الأزهر والجامع الحاكمي وجامع راشده وجامع المقس ودار الحكمة بالقاهرة، ويفرد لكل منها نصيباً خاصاً ويفصل وجوه النفقة لكل منها[3].

وتعد هذه الوثيقة أول وثيقة لوقفية صدرت عن أحد خلفاء الفاطميين، ورتبت للمؤسسات التعليمية بعض النفقات[4]، وتتضمن الدار المعروفة بدار الضرب،وجميع القيسارية – المعروفة بقيسارية الصرف، وجميع الدار المعروفة بدار الخرق الجديدة، وكلها بفسطاط مصر، وقد أوقفها على الجامع الأزهر والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة.أما جامع المقس فقد أوقف عليه أربعة حوانيت، وما يعلوها من منازل ومخزنين وكلها بفسطاط مصر في الموضع المعروف بحمام الغار[5]. وجميع الحصص الشائعة من أربعة الحوانيت المتلاصقة التي بفسطاط مصر بالراية أيضاً بالموضع المعروف بحمام الغاوي. وتعرف هذه الحوانيت

---

(1) النابلسي، المصدر نفسه، ص 26.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج4، ص 84.

(3) مصطفى رمضان، دور الأوقاف في دعم الأزهر، ضمن كتاب ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1983م، ص 126.

(4) المرجع نفسه، ص 126.

(5) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج 4، ص 50، ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ورقة 176 وما بعدها.

بحصص القيسي بحدود ذلك كله، وأرضه وبنائه وسفله وعلوه وغرفه ومرتفقاته وحوانيته وساحاته، وطرقه وساحاته ومجاري مياهه. [1]

وينفق من هذه الأوقاف على فرش الجوامع وتأثيثها وإنارتها من قناديل،وزيت لسرج القناديل، وإصلاحها، بالإضافة إلى القائمين على هذه المساجد من الخطيب والمشرف والأئمة المؤذنين " وجعل كل ذلك صدقة موقوفة محرمة محبسة لا يجوز بيعها ولا هبتها ولا تمليكها باقية على شروطها،وجارية على سبلها المعروفة في هذا الكتاب، لا يوهنها تقادم السنين، ولا تغير بحدوث حدث، ولا يستثنى فيها، ولا يتأول، ولا يستفتى بتجديد تحبيسها مدى الأوقات وتستمر شروطها على اختلاف الحالات حتى يرث ا الأرض والسماوات[2].

كما ينقل المقريزي عن المسبحي في حوادث سنة 403هـ/1012م، أن الحاكم بأمر ا قد أمر بإثبات المساجد التي لا غلة لها، ولا أحد يقوم بها،وماله منها غلة لا تقوم بما يحتاج إليه، فأثبتت في سجل رفع إلى الحاكم، وكان عدد المساجد ثمانمائة وثلاثين مسجداً، ومبلغ ما تحتاج إليه من النفقة في كل شهر تسعة آلاف ومائتان وعشرون درهماً، لكل مسجد في كل شهر إثنا عشر درهماً"[3].

كما قام الحاكم في سنة 405هـ/1014م، بتحبيس عدة ضياع وهي أطفيح وصول وطوخ، وست ضياع أخر، وعدة قياسر وغيرها على القراء والفقهاء والمؤذنين بالجوامع، وعلى المصانع والقوام بها، ونفقة المارستان وأرزاق المستخدمين فيها وثمن الأكفان[4].

---

(1) المقريزي، المصدر نفسه، ص 50.
(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج4، ص 50.
(3) المقريزي، المصدر نفسه، ج4، ص 84.
(4) المصدر نفسه، ج4، ص 84.

ويذكر الدواداري، في حوادث سنة 406هـ/1015م أنه عرض على الحاكم استيماراً باسم المتفقهين والمؤذنين والقراء بالقاهرة ومصر، فكان جملة المقدر لهم في كل سنة واحد وسبعين ألف، وسبع مئة وثلاثة وثلاثين، وثلثي وربع دينار، فأمر بإطلاق جميع ذلك[1].

وفي سنة 519هـ/1122 م، قام الخليفة الآمر بأحكام ا وورزيره المأمون البطائحي، ببناء الجامع الأقمر، واشترى له حمام شمول، ودار النحاس بمصر، وحبسهما على سدنته، ووقود مصابيحه، ومن يتولى أمره ويؤذن فيه.[2]

2- مساهمات الدولة:

بالإضافـة إلى الأوقاف فقد كانت الدولة الفاطمية تتحمل مسؤولية الإنفاق على المؤسسات التعليمية والمتعلمين فيها، ويظهر ذلك جلياً منذ دخول الفاطميين إلى مصر حيث جاء في خطاب جوهر قائد الجيوش الفاطمية إلى أهل مصر : "... وأن أتقدم في رم مساجدكم وتزيينها بالفرش وإعطاء مؤذنيها وقومتها، ومن يؤم المصلين فيها أرزاقهم، وإدرارها عليهم ولا أقطعها عنهم، ولا أدفعها إلا من بيت المال.. "[3].

ولتحقيق هذا الغرض وجد ديوان الرواتب في الدولة الفاطمية، ويضم هذا الديوان أسماء كل مرتزق له جار وجراية، ومن ضمنهم أرباب الرتب بحضرة الخليفة، مثل متولي مجالسة الخليفة وله مائة دينار،ولقاضي القضاة في الدولة مائة دينار في الشهر، ولداعي الدعاة مائة دينار، وكل من قراء الحضرة عشرون ديناراً "، إلى خمسة عشرة إلى عشرة، ولخطباء الجوامع من عشرين ديناراً إلى عشرة، وللشعراء من عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير[4].

(1) الداوداري، كنز الدرر، ج6، ص 291.

(2) المقريزي، المواعظ والإعتبار، ج4، ص 76.

(3) الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد، ص 51-52.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 84، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 348.

كما يصف لنا ناصر خسرو في أثناء رحلته كيفية تعهد الدولة بالإنفاق على المساجد فيقول : " وكان لكل مسجد في جميع المدن والقرى التي نزلت بها من الشام إلى القيروان نفقات يقدمها وكيل السلطان من زيت السرج والحصير والبوريا،وسجاجيد الصلاة، ورواتب القوام والفراشين والمؤذنين وغيرهم "[1].

أما عن الطلبة الذين يدرسون في هذه المؤسسات فلا يؤدون عن تعليمهم أية نفقة، فقد كان التعليم مجانياً، لا بل كثيراً ما رتبت لهم ولأساتذتهم إلى جانب هذه الدراسة الحرة أعطيات وأرزاق تكفي للإنفاق عليهم في حياتهم الخاصة كما فعل العزيز با لفقهاء الجامع الأزهر، حيث أجرى عليهم الأرزاق، وبنى لهم داراً مجاورة للجامع، وكان عددهم خمسة وثلاثين رجلاً. [2]

كما كان من عادة الخلفاء الفاطميين إخراج كسوة في كل سنة لجميع اهل الدولة من صغير وكبير في أوقات معروفة مثل أيام الأعياد والموالد والمناسبات الدينية في الدولة حيث يذكر المقريزي أن كسوة الشتاء والصيف بلغت ستمائة ألف دينار ونيف[3].

كما كانت الدولة توفر كل ما يحتاج إليه الطلبة في المؤسسات التعليمية من محابر وأوراق وأقلام، وكتب لازمة للمطالعة والنسخ كما فعل الحاكم في دار الحكمة[4]. كما كانت أيضاً تزود المساجد بنسخ مذهبة من القرآن الكريم كانت تحمل إليها من القصر[5].

وترد إشارة إلى وجود رسم جاري من الخبز والحلوى كانت تقدمه الدولة لمن يبيت بالجوامع في ليالي الجمع والانصاف (يعني ليلة النصف من الأشهر الثلاثة (رجب، شعبان،

---

(1) ناصر خسرو، سفر نامة، ص 125.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج4، ص 49؛ خطاب عطية، التعليم في مصر، ص 142.

(3) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص 348.

(4) الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد، ص 67-68.

(5) الدواداري، كنز الدرر، ج6، ص 285.

رمضان) فيقول المقريزي ضمن أخبار سنة 402هـ/1011م، أنه " قطع الرسم الجاري من الخبز والحلوى الذي كان يقام في الثلاثة أشهر لمن يبيت بجامع القاهرة(الأزهر)، في ليالي الجمع والأنصاف "[1].

ولعل إيمان الفاطميين بأهمية هذه المؤسسات كمنبر من منابر الدعوة للمذهب الفاطمي (الإسماعيلي) يفسر تنافس الخلفاء الفاطميين على الإنفاق، وإغداق العطايا على هذه المؤسسات، لأن استمرارية هذه المؤسسات في أداء رسالتها يعني استمرارية الدولة الفاطمية، وتثبيت دعائمها.

3- الهبات والمنح الشخصيـة :

تأتي الهبات والمنح الشخصية كمصدر آخر وغني لتمويل التعليم في العهد الفاطمي، هذا وقد تنافس الخلفاء والوزراء الفاطميون في إغداق العطايا والهدايا على أهل العلم والأدب.

وقد كان الفاطميون يستغلون المناسبات والأعياد الدينية ليفيضوا عطاياهم وهباتهم على العلماء والشعراء والطلبة والمؤسسات التعليمية، فيذكر المقريزي ضمن مناقب العزيز با الفاطمي: ".. وأول من عمل مائدة في الشرطة السفلى في شهر رمضان يفطر عليها أهل الجامع العتيق، وأقام طعاماً في جامع القاهرة"[2]، فكانت تُفرق الأطعمة والحلوى في ليالي الوقود[3]، ويوم المولد النبوي الكريم على أرباب الرسوم والقراء والخطباء المتصدرين بجوامع القاهرة. فيقول المقريزي نقلاً عن المسبحي في حوادث سنة 380هـ/990م، في شهر رجب : " وفيه خرج الناس في لياليه على رسمهم في ليالي الجمع، وليلة النصف إلى جامع

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 38.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 321.

(3)هي ليلة مستهل رجب وليلة نصفه، وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه،المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 346.

القاهرة(الأزهر).. وزيد فيه الوقيد على حافات الجامع، وحول صحنه التنانير والقناديل على الرسم في كل سنة، والأطعمة والحلوى والبخور في مجامر الذهب والفضة وطيف بها، وحضر القاضي محمد بن النعمان في ليلة النصف بالمقصورة، ومعه شهوده ووجوه البلد، وقدمت إليه سلال الحلوى والطعام وجلس بين يديه القراء وغيرهم، والمنشدون والناحة، وأقام إلى نصف الليل وانصرف إلى داره، بعد أن قدم إلى من معه أطعمة من عنده وبخرهم، وقال في شعبان : " وكان الناس في كل ليلة جمعة، وليلة النصف على مثل ما كانوا عليه في رجب وأزيد، وفي ليلة النصف من شعبان كان للناس جمع عظيم بجامع القاهرة (الأزهر) من الفقهاء والقراء والمنشدين، وحضر القاضي محمد بن النعمان في جميع شهوده ووجوه البلد، ووقدت التنانير، والمصابيح على سطح الجامع،ودور صحنه ووضع الشمع على المقصورة، وفي مجالس العلماء وحمل إليهم العزيز با الأطعمة والحلوى والبخور، فكان جمعاً عظيماً "[(1)].

كما يقول المقريزي أيضاً عن ليالي الوقود : " كانت من أبهج الليالي وأحسنها، يحشر الناس لمشاهدتها من كل أوب، وتصل إلى الناس فيها أنواع من البر، وتعظم فيها ميزة أهل الجوامع والمشاهد "[(2)].

كما يذكر ابن الطوير أن لحوم الأضاحي كان يفرقه قاضي القضاة وداعي الدعاة للطلبة بدار العلم، والمتصدرين بجوامع القاهرة، ونقباء المؤمنين(الدعاة) [(3)].

بالإضافـة إلى ما كان يوزع من النجوى على طلبة العلم بدار الحكمة وفي جوامع القاهرة الأزهر والعتيق والقرافة[(4)]، وهي عبارة عن مبلغ من المال مقداره ثلاثة دراهم وربع

---

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 345.

(2) المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص 386

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 185.

(4) المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص 252.

كان يؤديها المستمعون لمجالس الحكمة إلى داعي الدعاة، فكان يجتمع منها مبالغ كبيرة ينفق منها على الدعاة ويؤدى بعضها إلى المساجد لتفرق على فقراء الطلاب[1]، فقد ذكر المقريزي " أن حاصل الصناديق التي تشتمل على مال النجاوي برسم الصدقات عشرة آلاف درهم تُفرق في الجوامع الثلاثة الأزهر، والعتيق بمصر، وجامع القرافة وعلى فقراء المؤمنين على أبواب القصور[2].

ولم يقتصر الأمر في تشجيع الحياة العقلية الأدبية على الخلفاء فحسب بل كان لكبار رجال الدولة، وعلى رأسهم الوزراء أثر كبير في ازدهارها[3]، ومن أشهر الوزراء الفاطميين الذين عرفوا بحبهم للعلم والعلماء الوزير يعقوب بن كلس، ويروي الأنطاكي عنه: "كان الوزير يحب أهل العلم والأدب ويقربهم ويتفضل عليهم، وبلغني أنه عرض على العزيز عند قبضة عليه[4] جريدة بأرزاق الوزير على قوم من أهل العلم، ووراقين ومجلدي الدفاتر، ومبلغها ألف دينار في كل شهر فأمر العزيز بإجرائها عليهم ولا يقطع شيئاً منها " [5].

كما كان الوزير الصالح طلائع بن رزيك يحب أهل العلم، ويرسل إليهم العطايا الكثيرة فقد بلغه أن أبا محمد بن الدهان النحوي البغدادي المقيم في الموصل قد شرح بيتاً من شعره وهو:

تجنب سمعي ما يقول العواذل ... وأصبح لي شغلٌ من الغزو شاغل

---

(1) خطاب عطية، التعليم في مصر، ص 143.

(2) المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص 252.

(3) محمد حمدي المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، ص 103.

(4) قبض العزيز على زيره يعقوب بن كلس سنة 373هـ/983م، الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ج1، ص 202.

(5) الأنطاكي، المصدر نفسه، ج 1، ص 202.

فجهز له هدية ليرسلها إليه فقتل قبل إرسالها [1].

كما يذكر ابن ميسر أنه لما توفيت السيدة العزيزية أم ولد العزيز رثاها جماعة من الشعراء، فأطلقت لهم الجوائز، وأجيز بعضهم بخمسمائة دينار وعندما رجع العزيز إلى مضاربه تفقد سائر الناس بأصناف الطعام والحلوى، وفرق على الشعراء ألفي دينار [2].

---

(1) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2،ص 291.

(2) ابن ميسر، المنتقى، ص 172.

نتائـــــج الدراســـــة

توصلت الدراسة إلى النتائج التاليــة :

1- إزدهار الحركة الفكرية في مصر منذ دخول الفاطميين إليها، وقد تمثلت تلك النهضة ببناء الجامع الأزهر، ودار الحكمة، وتشجيع الطلاب والعلماء وإجراء الأرزاق عليهم، فنبغ في العصر الفاطمي عدد كبير من العلماء أمثال ابن الهيثم والحوفي وابن بابشاذ والمسبحي وغيرهم كثير.

2- كان لسياسة الدعوة للمذهب الفاطمي أكبر الأثر في حياة الفاطميين، فأكثروا من بناء المساجد التي ارتبط إسمها بالفاطميين والتي كانت منبراً من منابر الدعوة لهم ولمذهبهم، وأنشأوا المكتبات التي نافست مكتبات بغداد، كما شجعوا العلماء والشعراء والأدباء بالهبات الوافرة والخلع والأعطيات كي يشيدوا بذكرهم، ويدعوا إلى مذهبهم.

3- كان للدعوة الإسماعيلية أكبر الأثر في إغناء العلوم الدينية والفلسفية في العالم الإسلامي ككل، وذلك من خلال إقامة المناظرات بين فقهاء أهل السنة وفقهاء الإسماعيلية، وما يستلزم تلك المناظرات من التسلح بالفلسفة التي تظهر قوة حجة كل طرف من الأطراف، فقد أدت المواجهة المذهبية العنيفة بين المالكية والإسماعيلية، إلى تأليف مختصرات في عقيدة أهل السنة، وبالمقابل قام الفاطميون بتأليف كتب في عقيدتهم، وكانت بأمر وإشراف الخلفاء الفاطميين كالرسالة الوزيرية للوزير يعقوب بن كلس، وكتاب الاختصار، للقاضي محمد بن النعمان، والتي بالتالي كانت تُلقى على الناس في مجالس الحكمة التي تعقد في القصور ودار الحكمة في القاهرة.

4- لم تكن المرأة في العصر الفاطمي غائبة عن هذه النهضة العلمية بل كان هناك اهتمام كبير بالمرأة منذ الدور المغربي، استمر ذلك حتى مجيء الفاطميين إلى مصر، فكانت النساء تحضر مجالس الحكمة التي تعقد في القصر، حيث خصص لهن يوم في الأسبوع.

5- إن تطور أساليب التعليم رافقها تطور في المؤسسات التعليمية، فكان لأساليب المناقشة والمناظرة دور في ظهور مؤسسات تعليمية جديدة كدار الحكمة،و المدارس، وذلك أن هذه الأساليب تتنافى في طبيعتها مع ما يجب أن يكون عليه المسجد من الهدوء.

6- إن المدارس قد عرفت في مصر قبل العصر الأيوبي على خلاف ما كان يعتقده الكثير من أنها جاءت مع الأيوبيين، وعلى الرغم من الطابع السني لها إلا أنها أنشئت في ظل الدولة الفاطمية، وتم تنظيمها من ناحية المعلمين والمتعلمين، والنفقة عليها بمرسوم فاطمي كما هو الحال في المدرسة الحافظية التي أنشئت في عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين ا .

7- على الرغم من الجهود التي بذلتها الدولة الفاطمية في سبيل نشر مذهبها، ومحاربة المذهب السني، إلا أن المذهب السني بقي ظاهر الشعار إلى جانب المذهب الإسماعيلي الذي سرعان ما انتهى مع نهاية الفاطميين، وكانت الخدمة الجليلة التي قدمتها الدولة الفاطمية للحركة العلمية والفكرية هي الباقية إلى الآن.

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

أولاً: المصادر المخطوطة :

إبن عبد الظاهر، أبو الفضل عبد ا بن عبد الظاهر المصري (ت 692هـ/1293م)، **الروضة البهية في خطط المعزية القاهرة مخطوطة المتحف البريطاني رقم 1337 نسخة مصورة من ميكروفيلم**، مركز الوثائق المخطوطات في الجامعة الأردنية، رقم الشريط (41).

ثانياً: المصادر المطبوعة :

إبن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي (ت 630هـ /1232م)، **الكامل في التاريخ**، د. ط، دار صادر ، بيروت ، (1979 / 1982م).

إخوان الصفا وخلان الوفاء (ق 4هـ/10م)، **رسالة جامعة الجامعة**، د. ط، (تحقيق عارف تامر)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1970م.

أربعة كتب إسماعيلية منقولة عن النسخة الخطية، المحفوظة في مكتبة أمبروسيانة – ميلانو، عنى بتصحيحها د. شتروطمان، المجمع العلمي، غوتينغن، أعادت طبعه بالأوفست، مكتبة المثنى، بغداد ، د. ت.

ابن أبي أُصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت 668هـ /1269م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ط 2، (تحقيق نزار رضا)، دار مكتبة الحياة، بيروت ، 1965م.

الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت 458هـ /1065م)، **تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا**، د. ط (تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، جروس برس، لبنان، 1990م.

ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت 930هـ/1523م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، د. ط، (تحقيق محمد مصطفى). فرانتز شتاينر، فيسبادن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، 1975م.

البخاري، عبد ا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ - 869م)، **صحيح البخاري**، ط 3 (تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي) دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ، 1797م.

ابن جماعة، بدر الدين إبراهيم بن سعد ا الكناني(ت 733هـ/1332م)**، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**، د. ط. (تحقيق حسان عبد المنان)، (د. م)، بيت الأفكار الدولية، 2004م.

الجوذري، أبو علي منصور العزيزي (ت 386هـ /996م)، **في سيرة الأستاذ جوذر**، (تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة)، (د. م)، دار الفكر العربي،.

ابن حيون، النعمان بن أبي عبد ا محمد بن منصور بن أحمد، (ت 363هـ/ 973م)، **المجالس المسايرات**، ط 2، (تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي)، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997م.

ابن حيون ، **رسالة إفتتاح الدعوة**، ط 2 (تحقيق وداد القاضي)، دار الثقافة، بيروت، 1970م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1406م)، **مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، (د. ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ /1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ط 1 (تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 1997م.

ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت 809هـ/1406م)، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، د. ط، (تحقيق لجنة إحياء التراث العربي)، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

الدواداري، بكر بن عبد ا بن أيبك (ت 736هـ /1335م)، **كنز الدرر في فنون الأدب وجامع الغرر**، د. ط، (تحقيق صلاح الدين المنجد)، القاهرة، (د. ن)، 1961م.

الذهبي، الإمام أبو عبدا شمس الدين محمد (ت 748هـ /1348م)، **تذكرة الحفاظ**، ط 3، الهند : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 1958م.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت 660هـ -1261م)، **مختار الصحاح**، د. ط، (تحقيق يحيى خالد توفيق)، مكتبة الآداب، القاهرة، 1998م.

الرشيد بن الزبير (ق 5 هـ /11م)، **الذخائر التحف**. (د. ط)، (تحقيق محمد حميد ا)، الكويت، د.ن، 1959م.

الروحي، أبو الحسن علي بن أبي عبد ا (ق 4 هـ /10م)، **بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء**، د. ط (تحقيق عماد أحمد هلال وآخرون)، إشراف ومراجعة أيمن فؤاد سيد، د. ن، القاهرة، 2003م.

الزرنوجي، برهان الدين إبراهيم (ت620هـ/1223م)، **تعليم المتعلم في طريق التعليم**، د. ط، (تحقيق مصطفى عاشور) مكتبة القرآن للطبع، القاهرة، 1986م.

السجستاني، أبو يعقوب إسحاق بن أحمد (ت 353هـ /964م)، **الإفتخار**، (د. ط)، (تحقيق مصطفى غالب)، دار الأندلس، بيروت، د. ت.

إبن سحنون، محمد بن سحنون (ت 256هـ /869م)، **كتاب آداب المعلمين " ضمن كتاب التربية في الإسلام "**. د. ط (تحقيق أحمد فؤاد الأهواني)، دار المعارف ، مصر ، 1980م.

ابن سعيد، علي بن موسى المغربي (ت 673هـ /1274م)، **المغرب في حلى المغرب**، (عني بنشره وتحقيقه والتعليق عليه زكي محمد حسن وآخرون)، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1953م.

السمعاني، سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562هـ -1166م)، **آدب الإملاء والاستملاء**، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان (ت 911هـ/1505م)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1997م.

السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ط 2، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، د.م، دار الفكر، 1979م.

السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ط 1، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد). مطبعة السعادة، مصر ، 1952م.

الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت 548هـ -1153م)، **الملل والنحل**، د. ط، (تحقيق محمد سيدكيلاني)، دار المعرفة ، بيروت ، 1984م.

الشيرازي، المؤيد في الدين هبة ا بن أبي عمران موسى (ت 470هـ /1077م)، **المجالس المستنصرية**، ط 1، (تحقيق محمد زينهم محمد عزب)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

الشيرازي ، **ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة**، ط 1 (تحقيق محمد كامل حسين)، دار الكتاب المصري، القاهرة ، 1949م.

الشيرازي ، **مذكرات داعي الدعاة**، د. ط، (تحقيق عارف تامر)، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1983م.

الشيرازي ، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، د. ط، (تحقيق السيد الباز العريني)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة النشر، القاهرة، 1946م.

الصنهاجي، أبو عبد ا محمد بن علي (ت 626هـ /1228م)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم،** د. ط، (تحقيق جلول أحمد البدوي)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

إبن الصيرفي، أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب (ت 542هـ /1147م)، **القانون في ديوان الرسائل،** ط 1، (تحقيق أيمن فؤاد سيد)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1990م.

ابن الصيرفي، **الإشارة إلى من نال الوزارة،** ط 1 ، (تحقيق أيمن فؤاد سيد) ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1990م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/1930م)، **تاريخ الرسل الملوك،** ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

إبن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسين القيسراني (ت 617هـ /1220م)، **نزهة المقلتين في أخبار الدولتين،** ط 1 (تحقيق أيمن فؤاد سيد)، فرانتس شتاينز، شتوتجارت، 1992م.

إبن ظافر، أبو الحسن علي بن منصور (ت 613هـ /1216م) ، **أخبار الدول المنقطعة،** (ط 1)، (تحقيق عصام هزايمة وآخرون)، دار الكندي، إربد، 1999م.

إبن ظهيرة، جمال الدين محمد بن محمد بن نور الدين (ت 986هـ/1578م)، **الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة،** د. ط، (تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس)، د. م ، دار الكتب، 1969م.

ابن العبري، غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون (ت 685هـ/1286م)، **مختصر تاريخ الدول،** د. ط (صححه وفهرسه أنطون صالحاني اليسوعي)، دار الرائد اللبناني، لبنان، 1983م.

العيني، بدر الدين محمود (ت 855هـ/1451م)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، د. ط، (تحقيق محمود رزق محمود).: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2003م.

الغزالي، أبو حامد محمد (ت 505هـ /1111م)، **فضائح الباطنية**، د. ط، (تحقيق عبد الرحمن بدوي)، الدار القومية، القاهرة، 1964م.

أبو الفدا، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي (ت 732هـ /1331م)، **المختصر في أخبار البشر**، ط 1، (تحقيق محمد زينهم محمد عزب ويحيى سيد حسين)، دار المعارف ، القاهرة، ، د. ت.

ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد (ت 799هـ /1396م)، **الديباج المذهب**، ط 1، (تحقيق علي عمر)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2003م.

القابسي، علي بن محمد بن خلف (ت 403هـ /1012م)، **الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين**، " ضمن كتاب التربية في الإسلام "، د. ط، (تحقيق أحمد فؤاد الأهواني)، دار المعارف، مصر ، 1980م.

القرشي، الداعي إدريس عماد الدين بن الحسن بن عبد ا بن علي (ت 872م/1467م)، **زهر المعاني**. ط 1(تحقيق مصطفى غالب) ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت، 1991م.

القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، **القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار**، ط 1، (تحقيق محمد اليعلاوي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1985م.

القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف (ت 646هـ/ 1248م). **إخبار الحكماء بأخبار العلماء**، د. ط، (عنى بتصحيحه محمد أمين الخانجي)، دار الكتب الخديوية، مصر ، د. ت.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الغزاري (ت 821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، د. ط، وزارة الثقافة والإرشاد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، طبعة مصورة عن الطبعة الأميرية، د. ت.

القلقشندي، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، د. ط، (تحقيق عبد الستار أحمد فراج)، الكويت، 1964م.

ابن كثير، أبو الفدا الحافظ بن كثير الدمشقي (ت 774هـ/1372م)، **البداية والنهاية**، ط 2، مكتبة المعارف، بيروت ، 1977م.

الكندي، عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (توفي بعد سنة 353 هـ / 964م)، **الولاة والقضاة**، ط1، (تحقيق محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي)، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

مجموعة الوثائق الفاطمية، د. ط (تحقيق جمال الدين الشيال)، مطبعة لجنة التأليف الترجمة، القاهرة، 1958م.

أبو المحاسن، جمال الدين أبو المحاسن بن تغري بردي (ت 874هـ -1469م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب العلمية، المؤسسة المصرية العامة، د. ت.

المقدسي، شمس الدين أبو عبد ا محمد الشافعي (ت 387هـ /997م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط 3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ /1441م)، **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار**، د. ط، (تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م.

المقريزي ، **إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، ط 1، (تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا). دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

المقريزي ، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، مكتبة الآداب، القاهرة ، د.ت.

ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت 677هـ /1278م)، **المنتقى من أخبار مصر " انتقاه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي "**، د. ط، (تحقيق أيمن فؤاد سيد)، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، مصر، 1981م.

النابلسي، عثمان بن إبراهيم (ت 632هـ /1234م)، **لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية**، د. ط، (تحقيق كلود كاهن)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1988م.

ناصر خسرو علوي، **سفرنامة**، ط 2 (ترجمة يحيى الخشاب)، د.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1993م.

النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى (ق 3 هـ /9م)، **فرق الشيعة**، د. ط (عنى بتصحيحه هـ . ريز)، مطبعة الدولة ، اسطنبول ، 1930م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ /1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، (تحقيق محمد محمد أمين ومحمد حلمي محمد). د. م، مركز تحقيق التراث، 1993م.

النيسابوري، **إستتار الإمام**، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج 4، ج 2، 1936م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد ا ياقوت بن عبد ا الرومي (ت 626هـ /1228م)، **معجم الأدباء المسمى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ط 1 (تحقيق عمر فاروق الطباع) ، مؤسسة المعارف، بيروت، 1999م.

ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، منشورات مكتبة الأسدي، طهران، رقم (7)، د. ت.

اليماني، محمد بن محمد (ق 4هـ /10م)، **سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي**، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج 4، ج 2، 1936م.

ثالثاً : المراجع العربيـــة :

أحمد، نريمان عبد الكريم (د. ت)، **المرأة في مصر في العصر الفاطمي**، (د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أمين، محمد محمد (1980م)، **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر**، دراسة تاريخية وثائقية، (ط1)، القاهرة: دار النهضة العربية.

الجندي، مجاهد توفيق (1984م)، **تاريخ التربية الإسلامية**، (ط1)، القاهرة: دار الوفاء للطباعة.

جيدة، أحمد خالد (2001)، **المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي**، (ط1)، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

الحجي، حياة ناصر (1983م)، السلطان الناصر محمد بن قلاوون، **ونظام الوقف في عهده**، (ط1)، الكويت: مكتبة الفلاح.

حسن، حسن إبراهيم (1958م)، **تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب**، (د. ط) (د.ن).

حسن، **الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص**،(د. ط)، القاهرة: المطبعة الأميرية.

حسين، محمد كامل (د. ت)، **في أدب مصر الفاطمية**، دار الفكر العربي، (د. ت).

الدشراوي، فرحات (1994م)، **الخلافة الفاطمية في المغرب**،(ط1)، (ترجمة حمادي الساحلي)، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الرشدان، عبد ا زاهي (2004م)، **الفكر التربوي الإسلامي**، ط1، عمان: دار وائل للنشر.

سراج، محمد أحمد (1998). **أحكام الوصايا والأوقاف في الفقه الإسلامي، " دراسة فقهية مقارنة"**، (د. ط). القاهرة: دار المطبوعات الجامعية.

سرور، محمد جمال الدين (1966). **الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها**، (د. ط). دار الفكر العربي.

سيد، أيمن فؤاد، **الدولة الفاطمية في مصر**، الدار المصرية اللبنانية (د. ط).

شلبي، أحمد (1954)، تاريخ التربية الإسلامي. (د. ط)، بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة.

طلس، محمد أسعد (1957م)، **التربية والتعليم في الإسلام**، ط1، بيروت: دار العلم للملايين.

العبادي، أحمد مختار (1971م)، **في التاريخ العباسي والأندلسي** (د. ط)، بيروت: دار النهضة العربية.

عبد العاطي، عبد الغني محمود (د. ت)، **التعليم في مصر زمن الأيوبيين المماليك**، (د.ط) ، (د. م) ، دار المعارف.

عطية، خطاب، **التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول**، (د. ت)، (د. ط)، دار الفكر العربي .

عمارة، محمد (1974م)، **عندما أصبحت مصر عربية، دراسة عن المجتمع المصري في العصر الفاطمي**، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

عنان، محمد عبد ا (1942م)، **تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي**، (ط1)، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

عنان، محمد عبد ا ، **الحاكم بأمر ا وأسرار الدعوة الفاطمية**، (ط 2)، القاهرة: مؤسسة الخانجي.

ماجد، عبد المنعم (1953)، **نظم الفاطميين ورسومهم في مصر**، (د. ط)، مكتبة الأنجلو المصرية.

المنّاوي، محمد حمدي (1970)، **الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي**، القاهرة: دار المعارف.

رابعاً: المراجع الأجنبيـة المعربة :

بل، ألفرد (1981)، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي**، (د. ط)، (ترجمة عبدا الرحمن بدوي)، بيروت: دار الغرب.

أندريه، ريمون (1994)، **القاهرة تاريخ وحاضرة**، (ط1)، (ترجمة لطيف فرج)، القاهرة: دار الفكر.

متز، آدم (1967)، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، (ط4)، (نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة)، بيروت: دار الكتاب العربي.

ويستنفلد، ف (د. ت)، **جداول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها**، (د. ط)، (ترجمة عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان)، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

خامساً : الرسائل الجامعية :

بوبكر، التواتي (د. ت)، **المرحلة الإفريقية من خلافة المعز لدين ا الفاطمي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق ، سوريا.

العزام، عيسى (1997)، **الدولة الفاطمية في عهد الخليفة المستنصر**،رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

العمايرة، محمد عبد ا (1999)، **الجيش الفاطمي**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

عناقرة، محمد محمود (2005)، **المدارس في مصر في عصر دولة المماليك**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

سادساً: الدوريات :

الأطرقجي، رمزية (1979)، الأزهر في ظل الفاطميين، **مجلة كلية الآداب،** جامعة بغداد، ع (25).

الدوري، عبد العزيز (2001)، مستقبل الوقف في الوطن العربي، **مجلة المستقبل العربي،** مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع (274).

سالوس، منى علي، والصديقي، سمر عبد الرحمن (2001)، الوقف ودوره في الحياة العلمية والتعليمية، **مجلة الثقافة والتنمية،** سوهاج، مصر، ع (3).

سابعاً: الندوات والمؤتمرات :

الدوري، عبد العزيز (1991)، مدخل تاريخي ضمن كتاب، **ندوة التربية العربية الإسلامية،** المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان، الأردن.

رمضان، مصطفى (1983)، دور الأوقاف في دعم الأزهر ضمن كتاب، **ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي**، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد.

سيد، أيمن فؤاد (1992)، المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي، **ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية،** أعدها للنشر عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ماجد، عبد المنعم (1989)، التعليم عند الفاطميين، ضمن كتاب، **ندوة التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات،** المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان، الأردن.

دور المجالس والحلقات في النظام التربوي والتعليمي الإسلامي من القرن الأول حتى القرن الخامس، ضمن **كتاب الموجز في التربية العربية الإسلامية، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية،** مؤسسة آل البيت، عمان، الأردن.

ثامناً : المراجع الأجنبيـة :

Gibb, Sir Hamilton Alexander Rosskeen (1950) , **Islamic Society and the West** , Oxford , Lodnon.

Hamblin, William James (1985), **The Fatimid Army During the Early Crusades,** the University of Michigan.

M. Conard,"Fatimid", **Encyclopedia of Islam**, (New Edition) (1965),

Rabie, Hassanien (1972), **The Financial System of Egypt A.H 564-741 /1168-1341**. London.

EDUCATION IN PERIOD OF THE FATIMID IN EGYPT

By

Nahawand Mohammad Jamaliah

Supervisor

Dr. Salih Musa Daradkeh, Prof.

ABSTRACT

This study deals with education in the period of fatimid in Egypt. The scientific movement in this era took wide steps toward development. All that was due to the interest of Fatimid caliphates through building many educational institutions. Such as the mosques, Dar Al- Hikma and the Awkaf.

The property of the A wkaf had the greatest role in the community of these educational institutions..

This study shed a light on the systems of education in this age , starting from the close relationship between the Ismaeli movement and their attempts to spread their beliefs. Depending on the educational movement which was the main tool to spread this movement between people.

The study also talks about the different educational institutions such as schools, mosques, AL-Katateeb, the Fatimid Palaces and Dar AL- Hikma.

It also talks about the educational environment exemplified in scholar, learners and the curricula which where taught at that age, including religious studies connected to the Ismaeli movement. The main methods of teaching were explaining , discussion and the dialogue also dealt with in this study.

In addition to studying resources for fund to education at this age exemplified in AL- Awkaf and what the Fatimi government formally

offered as salaries to the people who were responsible for these institutions and for the learners.

Besides to gifts , and personal grants from caliphates and the main figures of the government.

At the end of this research I concluded the main results I found in my study.